بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلاميّة

كلية الدراسات العليا

كليّة اللغة العربيّة

قسم الدراسات الأدبيّة والنقديّة

عبد الرحمن شكري شاعراً

بحث لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة تخصص (الأدب والنقد)

إعداد الطالب : كامل محمد حسين إبراهيم

إشراف الدكتور : فاروق الطيّب البشير

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

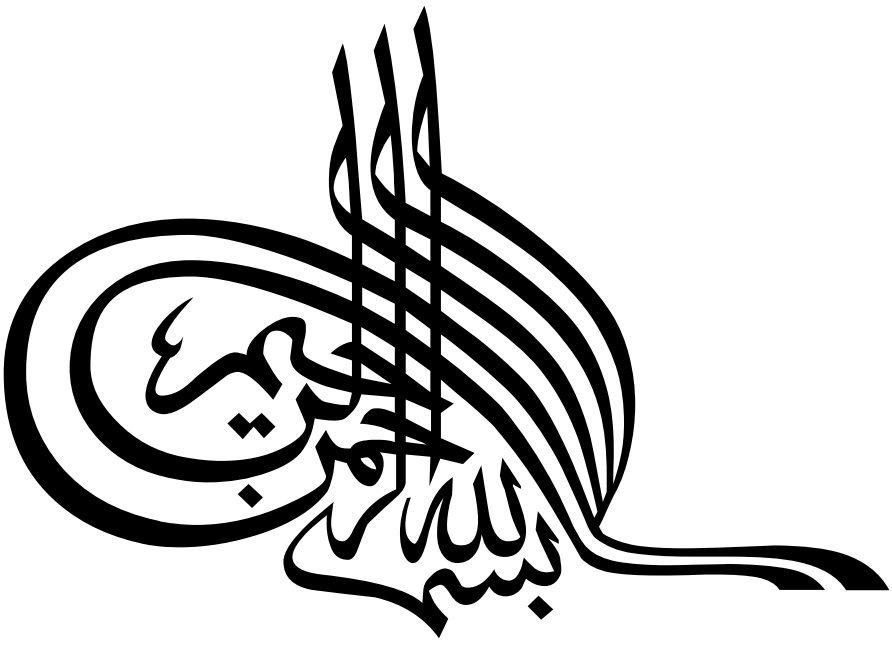
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَـارَكَ الَّذِي بِيَـدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ والحَيـاة لِيَبْلُوَكُمْ أَيّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُوْرُ ﴾

صدق الله العظيم

الآية ١ ، ٢ من سورة الملك

إهداء

إلى روح والدي الّذي رحل عنّا ، ولم يغادرنا .

وإلى والدتي ينبوع العاطفة الصادقة ، أمدّ الله في أيّامها .

وإلى زوجتي ، وأبنائي .

وإلى أخواني ، وأخواتي .

من المحبّة والوفاء .

الباحث

شكر وتقدير

احمد الله تعالى حمد شاكره لنعمائه ، وأثني عليه بما هو أهله ، على ما أنعم عليّ من نعم جليلة ، والله ذو الفضل العظيم . أمّا بعد :

فلا يسعني إلاّ أنْ أتقدّم بوافر شكري وعميق امتناني وتقديري للأستاذ الجليل د/ فاروق الطيّب البشير ، لما منحني من غزير علمه ، ما قوّم به هذا البحث ، وأسأل الله أنْ يجزيه عنّي خير الجزاء ، وأنْ يبارك له في وقته وعلمه وعمله ، وأنْ يرزقه الصحّة والعافية ، وأنْ يجعل هذا الجهد والعطاء والنصح والمتابعة زخراً له يوم القيامة .

والشكر لجامعة أم درمان الإسلاميّة لما هيئته لي من فرص كبيرة ، حين أفاءت عليّ ظلالها ، وهي تحتضنني بين طلابها ، والشكر لمكتبتها .

كما أشكر الأساتذة :

١/ أ . بروفسير : عبد الله بريمة فضل .

٢/ د. عبد الرحمن عطا المنّان .

الّذين تفضلا بتقويم هذا البحث .

والحمد لله بدأً وختماً .

مقدّمة

ترجع أهميّة عبد الرّحمن شكري إلى أنّه من أوائل شعراءنا العرب المتقدمين اللذين اهتمّوا بقضيّة ثقافة الشّاعر ، فكانت له ثقافة موسوعيّة داخل الإطارين العربي والأجنبي . وإذا كنّا وجدنا البارودي يكبّ على التراث إكباباً ، وعلى التراث العباسي خاصّة ، ينهل منه ويحفظه ويتمثّله ، وخاصّة ما كان من تأثره بكبار العباسيين أمثال : أبي تمام ، والمتنبي في اعتزازه بنفسه . وإذا وجدنا شوقي يرجع إلى التراث وإلى منابعه الذاخرة الصافية عند ابن زيدون ، والبحتري خاصّة الّذي تأثّر به تأثّراً كبيراً فضلاً على تأثّره بالمتنبي ؛ وإذا كنّا نجد الثقافة العربيّة والتراث العربي والشعر العربي هو المرفد الأوّل للبارودي ، ولشوقي ، وإذا وجدنا البارودي وليست له من الثقافة الحديثة بحكم الظروف التاريخيّة الحضاريّة الّتي عاشها ليس له تأثر كبير بالثقافات الأجنبيّة من حوله غير ما ذكرنا من تأثره بـ(حافظ الشيرازي) الشّاعر الفارسي ، وإذا وجدنا ثقافة شوقي لم تعكس أثراً في وضوح على شعره الّذي ظلّ غنائيّاً تقليديّاً حتّى ذلك الشّعر الّذي صاغه في قالب مسرحيّ ظلّ يدور في إطار تقليديّ ، وغلب عليه الطابع الغنائي وإذا كان إسماعيل صبري ، وثقافته الفرنسيّة ، وما قرأه للأمراتين ، ومن شعراء البحيرة ، وغيرهم ، قد أثر في ذلك الطابع الرومانسي الّذي يفض رقّة ودماثة .

فإن شاعراً رائداً ولد سنة ١٨٨٦م ببور سعيد ، وراح يتلقّى تعاليمه الأولى بالإسكندريّة ، وبالقاهرة من بعد قد أطلّ على ثقافته الحديثة بشيء جديد يختلف عن هؤلاءِ الروّاد الإحيائيين والتقليديين والرومانسيين ، ألا وهو عبد الرّحمن شكري .

ويعدّ من الأفذاذ القلائل في تاريخنا الأدبي ، والفكري الحديث ، فقد كانت عبقريّته ذات جوانب متعدّدة إذ كان شاعراً مجدداً ومفكّراً أصيلاً له فلسفته الخاصّة في النفس البشريّة ، والحياة الإنسانيّة ، مع المحافظة على شخصيّته وأصالته ، هذا إلى جانب أنّه كان ناقداً أدبيّاً لعبت آراؤه النقديّة دوراً خطيراً في توجيه الشّعر العربي الحديث وجهة تجديديّة بناءة .

ولعلّ أهمّ إسهام قدّمه شكري للفكر العربي الإسلامي الحديث ، أنّه جعل (التفكير) جزءاً لا يتجزأ من شعره . ومن المعروف أنّ الشّعر العربي الحديث (ولا سيما قبل البارودي) كانت تسوده نزعة خطابيّة تشبه الضوضاء الفارغة أو الجعجعة اللّفظيّة الّتي ليس وراءها رصيد فكري أمّا في شعر شكري فإنّنا نظفر لأوّل مرّة في تاريخنا الأدبي الحديث بمادة غزيرة من الأفكار لم تجتمع وتوضع كيفما اتّفق وإنّما وضعت في بناء عقلي متكامل حيث تربطها وحدة فكريّة داخليّة ، وحيث تقوم على أساس فلسفي واضح . هذا مع تحقيق العناصر الضروريّة الأخرى للشعر ، ولا سيّما عنصر العاطفة ، أو الوجدان .

موضوع البحث :

عبد الرّحمن شكري شاعراً .

أهمية الموضوع :

تأتي أهميّة الموضوع إيماناً منّي بأنّ اللّغة العربيّة هي أسمى اللّغات وأشرفها ، حيث إنّها لغة القرآن ، ممّا يزيد أهلها شرفاً وروعةً بين العالمين ، وتبقى محافظتنا عليها ، وعلى تراثنا الأدبي ضدّ التيارات الغربيّة المضادّة أمانةً في أعناقنا ، ومن ثمّ فإنّ إضافة لبنة في صرح اللّغة العربيّة الشامخ يُعدّ مساهمة في المحافظة على هذا التراث .

دوافع اختيار الموضوع :

من الدوافع الّتي دفعتني لاختيار هذا الموضوع أنني أجد شكري سبق زمانه في عدّة صفات ، فهو من أسبق المتقدّمين إلى توحيد بنية القصيدة ، وإلى التصرّف في القافية على أنواع من التصرّف المقبول ، فنظم القصيدة من وزن واحد ، ومقطوعات متعدّدة القوافي .

وإذ نجده من الناحية الثقافيّة إنّه أوّل الشعراء العرب المتقدّمين الّذين اهتمّوا بثقافة الشّاعر ، وله ثقافة موسوعيّة داخل الإطارين العربي والأجنبي .

المنهج المتّبع :

اتّبعت في هذا البحث كلّ من المناهج الآتية :

١/ التأريخي .

٢/ الوصفي .

٣/ الاستقرائي .

٤/ التحليلي .

صعوبات البحث :

من الصعوبات الّتي واجهتني في هذا البحث :

قلّة المصادر والمراجع الّتي تناولت الشّاعر عبد الرّحمن شكري .

خطّة البحث :

وهذه الدراسة قد ضمّت ثلاثة أبواب ، وكلّ باب احتوى على عدّة فصـــول وجاءت كالتالي :

الباب الأوّل : حياة شكري من شعره – أسرته ، وثقافته .

الفصل الأوّل : معالم حياته .

الفصل الثّاني : تعليمه .

الفصل الثالث : بعثته لإنجلترا وأثرها في شعره .

الفصل الرابع : العلاقة بين إنتاجه الأدبي ، والظروف الخارجيّة .

الفصل الخامس : الاتجاه الأدبي الجديد لشكري .

الفصل السادس : المازني وهجومه الظالم على شكري .

الفصل السابع : إحالته إلى المعاش ، وأثرها في شعره .

الفصل الثامن : ثقافته .

الفصل التاسع : مؤلّفاته .

الباب الثّاني : حالة الشّعر في عصر شـــكري ، وتعريـــف الموضـــوعات العالقة بفكره ، وتناولها في سكل ديوان .

الفصل الأوّل : حالة الشّعر العربي في عصر شكري .

الفصل الثّاني : تعـــريف الموضوعات العالقة بفكره ، وتناولها فـــي كـــل ديوان .

الباب الثالث : الأدوات الفنيّة التعبيريّة في شعره .

الفصل الأوّل : اللّغة والصياغة .

الفصل الثّاني : الموسيقى .

الفصل الثالث : الصور .

الفصل الرابع : الوحدة الفنيّة للقصيدة (الخيـــال – الوحـــدة الموضـــوعيّة والشعوريّة – تقليديّة الموضوعات وتجديدها) .

الخاتمة .

فهارس عامّة .

الباب الأول

معالم حياته – أسرته – مؤلفاته

الفصل الأول : معالم حياته .

الفصل الثاني : تعليمه .

الفصل الثالث : بعثته لانجلترا وأثرها في شعره .

الفصل الرابع : العلاقة بين إنتاجه الأدبي ، والظروف الخارجيّة .

الفصل الخامس : الاتجاه الأدبي الجديد لشكري .

الفصل السادس : المازني وهجومه الظالم على شكري .

الفصل السابع : إحالته إلى المعاش ، وأثرها في شعره .

الفصل الثامن : ثقافته .

الفصل التاسع : مؤلّفاته .

الفصل الأول

معالم حياة عبد الرحمن شكري

ولد عبد الرحمن شكري بمدينه بورسعيد في ١٢من أكتوبر ١٨٨٦م . وتوفي بالإسكندرية في ١٥ من ديسمبر ١٩٥٨م وبين هذين المكانين والزمنين تدور قصه حياته التي دامت اثنين وسبعين عاماً [١].

ينتمي عبد الرحمن شكري – من جهه والده ووالدته معاً إلى أصل مغربي من شمال إفريقيا ، فوالده محمد شكري بن أحمد شكري بن حسن بن حسن عياد المغربي إلى مصر في فتره لانستطيع تحديدها وربما كان ذلك في أواخر القرن الثامن عشر ومن المرجح أنّ هجرته إلى مصر كانت لطلب الرزق فقد نزل بالجيزة ، واشتغل بزراعه النخيل ورعي الاغنام.

أما أحمد شكري جد الشاعر فقد تعلم في المدارس المصريه واتقن العربية والفرنسية ، وقام بتدريس هاتين اللغتين لبعض أفراد الأسرة المالكة في مصر حينذاك. ولعله من أجل ذلك عين في وظيفه إدارية بمحافظة الإسكندرية. وظل يرقي حتي أصبح رئيس قلم الجوازات بميناء الإسكندرية.

ويقول الشاعر عن جده هذا (إنه كان متدينا وأنه ألّف كتاباً في العبادة والتدين) وفي مقدمة هذا الكتاب أرجع المؤلف نسبه إلى النبي صلي الله عليه وسلم. وكان محمد شكري والد الشاعر متدينا كذلك ، وكان يقيم في منزله حفلات صوفية اسبوعية تتلي فيها قصيدة (البردة) للبوصيري وبعض الأوراد ودلائل الخيرات كما كان في مكتبته كتب دين وتصوف [٢] وقد كان لهذه البيئه الدينيه الصوفيه أثرها علي نفسية الشاعر وعلي شعره وأدبه كما سنري.

---

(١) ديوان عبد الرحمن شكري . جمعه ونقحه قلم نقولا يوسف ، بمكتبة المعارف ، بالإسكندرية ، ١٩٦٠ ، ص ٢ .

(٢) عبد الرحمن شكري ، أحمد عبد الحميد غراب ، ص ١٥– ١٦ .

شاعرنا لا يذكر تفاصيل كثيرة عن حياة والده ومدى ثقافته ولكنه يذكر أنّ مكتبة والده كان بها الي جانب كتب الدين والتصوف والقوانين والإدارة كتب أدب وشعر وسياسة وكان بها بعض دواوين الشعر العربي المشهورة ، كديوان ابن الفارض والبهاء زهير والمتنبي وكتاب الوسيلة الأدبية للشيخ أحمد حسين المرضي الكبير أستاذ البارودي ، وكتاب كان ويكون [١] للسيد عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية .

وكان والد الشاعر يشغل وظيفه إدارية في محافظة الإسكندرية وفي هذه المدينه تزوج من الفتاه المغربيه(زينب) ثم نشبت الثوره العرابيه فاشترك فيها(ومن المعروف ان جانباً هاماً من أحداث هذه الثورة وقع بمدينه الإسكندرية) وكان صديقا للسيد عبد الله النديم [٢]، فلما فشلت الثورة قبض علي والد الشاعر وسجن نحو أربع سنوات مات خلالها معظم أولاده ، حتى تشفع له والده فعفي عنه ثم عين معاون إدارة بمدينه بورسعيد.

---

[١] ألف النديم كتابه هذا أيام اختفائه أيام الاحتلال البرطاني لمصر سنه ١٨٨٢ وسجل فيها أحاديثه مع صحفي فرنس كان يزوره سرا وهذه الأحاديث تتناول إجابات النديم عن أسئلة كثيرة وجهها إليه للصحف وخاصة في السياسة وأحوال الإسلام والمسلمين وقد طبع الكتاب لأول مره بمطبعه المحروسة بالقاهرة عام ١٩٨٢م .

(٢) يقول شكري في رسالته التي وصلتني في ١٩٥٥/٧/١٩وكان والده أي (والد عبد الرحمن شكري) لأنه من العرابيين صديقا لي السيد عبد الله نديم زاره ضيفا في منزله ببورسعيد وأظن ذلك عندما حكم عليه بالهجرة (أي بالنفي) إلى الأستانة حيث مات ، وكان عبد الرحمن شكري يرى السيد عبد الله النديم ، ويقول : هذا هو النسر الحائر ، أو الصقر الحائر ، لأنّ في نظرته حيرة وارتباكاً ، ولأنّ نظرته نظرة الصقر ، أو النسر .. "

وفي بورسعيد إستانف والد الشاعر ووالدته حياتهما العائلية . وفي ١٢ أكتوبر سنه ١٨٨٦م ولد ابنهما عبد الرحمن شكري [١] .

---

[١] رسائله بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٥٦م ، ٢٤ ، ٢٩ / ٤ / ١٩٥٧م ، ١٥ / ٥ / ١٩٥٧م ، وعبد المنعم عواد يوسف ، مجلّة العالم العربي ، العدد السابق ، نفس الصفحة ، وأحمد عبيد الحلبي : مشاهير شعراء العصر ، ١/ ٢٤٩ . ، ونقولا يوسف : (عبد الرحمن شكري في ذكراه الثانية) ، صحيفة المساء ، ١٧ ، ١٢/ ١٩٦٠ ، ص ٦ .

الفصل الثاني

تعليمه

التحق عبد الرحمن في الثامنة من عمره بأحد الكتاتيب في بور سعيد ، ولكن عهده بالكتّاب لم يطل أكثر من عام ، وهو يحدثنا عن طريقة تعلمه بهذا الكتّاب ، ويشير إلى الطبقات الاجتماعيّة التي ينتمي إليها تلاميذ الكتّاب ، فيقول : " كان عمري ثماني سنوات على ما أظن ، وبقيت بالكتّاب نحو سنة ، وتعلّمت الكتابة والقراءة وجزءاً من القرآن ، ولكن كان أولاد كبار الموظّفين والأعيان يجلسون على رصيف مرتفع ، قرب مقعد المعلّم ويأتي التلاميذ ويجلسون على حصير .

" وكان المعلّم يوجّه التفاته إلى الجالسين على الرصيف ، ومن أجل ذلك تعلّمت القراءة والكتابة وجزءاً من القرآن ، لأنّي كنت جالساً على الرصيف ، ومواجهاً للمعلّم ، وكان الكتّاب به ضجّة ، فإذا أراد المعلّم أنْ يصل إلى مصدر الشغب مدّ جريدة طويلة في يده إلى رأس المشاغب فقرعها ، ولكن أهل الرصيف كانوا بعيدين عن قرع العصا والجريدة .. " .

" وقد استفدت من الكتّاب ، ولكن الجالسين على الحصير كانت فائدتهم أقل ، ولو أنّهم كانوا تحت رعاية التلاميذ المجتهدين ، ويعرضون شغلهم على المعلّم من حين إلى حين[1].

ومن الواضح أنّ هذا الكتّاب كان صورة مصغّرة للمجتمع المصري وطبقاته حينذاك .. فأولاد الأعيان وكبار الموظفين كانوا يتمتعون بامتيازات تربويّة لا يتمتّع بها أولاد الفقراء .

وكان عبد الرحمن شكري – يعتبر لمكانة والده ومنصبه – من أولاد الأعيان وكبار الموظفين .

---

[1] رسالته التي وصلت في ٢٠ / ٤ / ١٩٥٧م .

وفي نحو التاسعة التحق شكري بمدرسة الجامع التوفيقي الابتدائيّة ببور سعيد ، ومنها حصل على الشهادة الابتدائيّة سنة ١٩٠٠م [١] .

وفي هذه المدرسة ذاق الضرب الذي لم يتعرّض له في الكتّاب ، ويبدو أنّ الضرب في ذلك الوقت كان وسيلة شائعة من وسائل التربية في مصر ، وبخاصّة في المدارس الابتدائية ، وشكري يروي لنا بعض ذكرياته الطريفة عن الضرب في تلك المدرسة فيقول : " كان الضرب حتماً في المدارس الابتدائية ، فكانوا إذا وصلوا إلى المدارس الثانويّة أو العالية ارتفعوا عن مرحلة الضرب ، وأنا كنت مثل غيري " .

وكان مدرّس اللغة العربيّة إذا ضاق صدراً بتلميذ قال : يا عالم ! يا عالم ! ثمّ يهوي بظهر كفّه على صدر التلميذ ، فتعلّمنا أن نضع على صدرنا زراراً ذا سنّ مسنون كي يؤلم المعلّم إذا وقع ظهر كفّه عليه " .

ويروى أنّ مدرّساً آخر هدد تلميذاً شقيّاً برميه من النافذة ، وهجم عليه ، ورفع التلميذ ، وقارب النافذة ، وكنّا واثقين أنّه سيرميه ، ولكنّه عند صراخ التلميذ : حرّمت .. تبت .. أنزله إلى الأرض وهو يرتجف " [٢] .

ولم يكن ببور سعيد حينذاك مدارس ثانويّة ، فانتقل شكري إلى الإسكندريّة حيث التحق بمدرسة رأس التين الثانويّة ، ومنها حصل على (البكالوريا) سنة ١٩٠٤م وفي نفس السنة انتقل إلى القاهرة حيث التحق بمدرسة الحقوق [٣] .

ولكن لم يتح له أنْ يدرس القانون أكثر من سنة واحدة . ففي سنة ١٩٠٥م – ١٩٠٦م فصل من مدرسة الحقوق لاشتراكه في الاضرابات التي نظمها الحزب الوطني آنذاك لإعلان سخط المصريين على الاحتلال البريطاني لمصر ، ووحشيّة

---

[١] رسالته التي وصلت في ١٧ / ٧ / ١٩٥٥م ، ومشاهير شعراء العصر ، ١/ ٢٤٩ .

[٢] رسالته التي وصلت في ٢٠ / ٤/ ١٩٥٧م .

[٣] رسالته التي وصلت في ١٧/ ٧/ ١٩٥٥م ، ومشاهير شعراء العصر ، ١/ ٢٤٩ .

البريطانيين في دانشواي [١] ، وخلال تلك الاضرابات ألّف شكري قصيدة حماسيّة بعنوان (ثبات) [٢] ألقيت في أحد الاجتماعات العامة ، وفيها تحدّى المستعمرين ، وعبّر عن تصميم الشعب المصري على الصمود لهم ومقاومتهم ، بالرغم من كل الأساليب الوحشيّة التي يلجاؤن إليها لإذلال المصريين وإرهابهم ، وفي تلك القصيدة يقول :

فإنْ تحسبوها خطة الطيش إنّنا ذوي العزم لا نغضي لصولة جبّار
فإنْ روّعونا كي يقودوا أشدّه ثبتنا على الترويع نلهو بأخطار
فما زادنا الترويع إلاّ حميّة وهل حسبوا أنْ يطفئو النار بالنار ؟!

وفي سنة ١٩٠٦م التحق شكري بمدرسة المعلمين العليا (لحاجة وزارة المعارف إلى المعلمين [٣] ، وتخرّج منها سنة ١٩٠٩م ، وكان متفوّقاً ، ولا سيما في اللغة الإنجليزيّة .

وكان في أثناء دراسته بمدرسة المعلمين قد عاد إلى كتاب الأغاني ، وحماسة أبي تمّام ، وديوان الشريف الرضي ، وغيرهم . ووجد فيها كثيراً من شعر الزخرف والاستعارات والتشبيهات ، والشعر الوجداني فتأثّر بهذا كلّه ، وظهر هذا الأثر في دواوينه الباكرة كما كان في أول الأمر – كما يقول – ينظر إلى الشعر كأدب ترف ، وزخرف وتشبيهات ، ثمّ راح ينظر إليه كأدب وجدان وإيمان ، " وفن إيمان في الموضوع الوطني ، وفن إيمان ووجدان في العقيدة والنسيب " ، وقلّت في شعره بعد ذلك الزخارف والاستعارات القديمة ، وامتزجت فيه الرومانسيّة بالواقعيّة .. [٤] .

---

[١] عن تفاصيل مأساة دنشواي ، راجع عبد الرحمن الرافعي ، مصطفي كامل ، ص ١٩٧ ، وما بعدها . وعن صداها في الشعر الحديث ، راجع عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، ٢/ ٩٤ ، وما بعدها .

[٢] الديوان ، ١/ ٥٥ ، ط ، أولى .....

[٣] رسالته التي وصلت في ١٩ / ٧ / ١٩٥٥م .

[٤] ديوان عبد الرحمن شكري ، لـنقولا يوسف ، ص ٣ .

كما كان في تلك الفترة ينظم القصائد ويكتب المقالات ، وينشدها في صحف ذلك العهد ومن ذلك مراثيه في مصطفى كامل ، وقاسم أمين (حين انتقلا إلى رحمة الله عام ١٩٠٨م ، والشيخ محمد عبده ١٩٠٥م – وقصائده : في سبيل الجامعة ، والثبات ، وغيرها ..

وقيل إن تنصرم هذه الأعوام الثلاثة بمدرسة المعلّمين ن كان الجزء الأول من ديوانه (ضوء الفجر) في أيدي القرّاء .. ظهر عام ١٩٠٩م ، وكان الشاعر في الثالثة والعشرين ، يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ساحات مشاكلها ومتاهات تجاربها .. ومع ذلك فإنّ الروح الثائر المجدد الذي سطع في تلك البواكورة كان باهراً .. فانبرى المازني يقرظه في الصحف ، وأرسل الشاعر حافظ إبراهيم إلى شكري يقول [١] :

أفي العشرين تعجز كل طوق وترقصنا بأحكام القوافي ؟
شهدت بأن شعرك لا يجارى وزكيت الشهادة باعترافي !
لقد بايعت قبل الناس شكري فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

وبمدرسة المعلّمين توطّدت الصلة بين شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، فقد كان كلاهما شغوفاً بالشعر ونظمه ، ويحدّثنا المازني عن تلك الصلة في مقالة نشرها بجريدة السياسة في ٥ أبريل ١٩٠٩م ، ومما قال [٢]: " كنّا يومئذ طالبين في مدرسة المعلمين العليا ، وكانت صلتي به وثيقة ن وكان كل منّا يفدي صاحبه بنفسه ، لم أكن يومئذ إلاّ مبتدئاً على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معيّن في الأدب ورأي حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه . ومن اللؤم الذي أتجافى بنفسي عنه أنّه أوّل من أخذ بيدي ، وسدد خطاي ، ودلّني على الحجّة الواضحة ، وإنّني لولا عونه المستمر الأرجح أن أظل أتخبّط أعواماً أخرى ، ولكان من المحتمل جدّاً أنْ أضلّ طريق الهدى "

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري ، لـ نقولا يوسف ، ص ٤ .

[٢] المازني بجريدة السياسة ، ٥ ابريل ١٩٠٩م ، نقلاً عن ديوان عبد الرحمن شكري ، ص ٤ .

الفصل الثالث

بعثته لإنجلترا

عندما تخرّج شاعرنا عبد الرحمن شكري من مدرسة المعلّمين العليا سنة ١٩٠٩م ، ولتفوّقه أرسل في نفس السنة في بعثة إلى جامعة شفيلد بإنجلترا ، حيث قضى هناك ثلاث سنوات درس خلالها التاريخ الأوربي والإنجليزي والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والسياسة إلى جانب اللغة الإنجليزيّة وآدابها . وفي سنة ١٩١٢م حصل على درجة البكالريوس (A B) من تلك الجامعة [١].

ولا شكّ أنّ بعثته إلى انجلترا كانت ذات أثر عميق في ثقافته وفي أدبه وشعره بل يمكن القول بأنّ هذه البعثة كانت نقطة تحوّل في حياته الأدبيّة والعقليّة ، وسنرى ذلك واضحاً عند الحديث عن ثقافته ، ونقتصر الآن على بيان ما كان لإقامته في إنجلترا ، لا سيما لمّا كان للطبيعة في بلاد الإنجليز من أثر في شعره .

يذكر شكري أنّ الطبيعة بمناظرها الجميلة المتنوّعة في إنجلترا كان لها أثر عظيم في نفسه ، وفي شعره ، وهو يقارن بين مناظر هذه الطبيعة في مصر فيقول : " ففي مصر نرى الأرض كأنّما صنعها مهندس بالمسطرة على الورق ، وعلى مستوى واحد ، وفي إنجلترا نرى القطعة الصغيرة من الأرض تتفاوت في الارتفاع ، والمظهر تناغماً عجباً . وفي إنجلترا رأيت الوديان الصغيرة التي تحوطها الجبال ، ورأيت التلال والجبال مكسوّة بالأشجار ومغطّاة بالجليد ، أو بدقيق الثلج شتاء ، ورأيت بقايا الغابات الكبيرة القديمة ، ورأيت المياه المنحدرة من تلال ، وكان أثرها في النفس لا يقل عن أثر المساقط المائيّة العالميّة الكبيرة لدى من كان صاحب خيال وإحساس ورأيت دقيق الثلج يكسو الشوارع والبيوت ، ويحيل النهار المشمس كاللّيل

---

[١] رسالته السابقة ، ومشاهير شعراء العصر ، ١/ ٢٤٩ .

المقمر .. وقد زادني مشاهدة تلك المناظر المتعدّدة مقدّرة على الوصف الذي كتبته في إنجلترا أو بعد عودتي [١] .

وبعد عودة شاعرنا عبد الرحمن شكري من إنجلترا وبالرغم من طول عودته منها إلاّ إنّنا نجده يشير في هذا النص (القصيدة التي لها أثر كبير على نفسه وهي : (الشتاء في إنجلترا) وهي تصور الجوانب الجميلة بالنسبة لحياة الناس وفي الطبيعة خلال ذلك الفصل الجميل .

فتصور جمال الثلج الذي يكسو الأرض والأشجار وكل شيء بالبياض والصفاء والنور ، ويحمل من يسعى عليه من عالم الأرض إلى عالم الروح . فيقول :

نشر الضريب على البسيطة حلّة بيضاء تمحو غبرة الغبراء
يسعى على وضح النهار كأنّما يسري الفتى في ليلة قمراء
فكأنّ نور البدر ما حلّى الثرى بدواء تلك الحلّة البيضاء [٢]
غلب البياض على اصفرار أشعّة تهب النّهار من اصفرار ذكاء

ولعلّ أجمل أبياتها تلك الأبيات التي يصوّر فيها نيران المدافئ في البيوت ، وما تصدره هذه النيران أو تبعثه في الوجوه والقلوب من دفئ وبهجة :

وإذا المراقد في البيوت تضاحكت من شدّة الإيقاد والإذكاء
خلت الربيع سعى إليك بحفلة والنار زهر الجنّة الفيحاء
يذكي الوجوه لهيبها فتراهما جمرين يشتعلان في الظلماء
ما غضّ من دفء الحياة ونارها ثلج الشتاء على ثرى الغبراء
الحب والآمال فوق متونه كالحب والآمال في الصحراء
والقلب قلب حيث كان إذا ذكت نار الشباب وشرّة[٣] الأحياء [٤]

---

[١] فصول من نشأتي الأدبيّة ، المقتطف ، يونيه ١٩٣٩ ، ص ٣٤ ، وما بعدها .

[٢] الشتاء في انجلترا ، الرسالة ، ٢٣ / ١٢ / ١٩٣٥ ، ص ٢٠٦٢ .

[٣] شرّة : قوة وشدّه .

[٤] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

أما عن مناظر الطبيعة في شفيلد و أثرها في شعره فيقول : " في ذهني صورة واضحة عن مناظر الطبيعة التي رايتها و أوحت إليّ بنظمها ، فمثلا في شفيلد أيام نظم الجزء الثاني ثم بعده قصائد ظلت تختمر في الذهن إلى الأجزاء التالية:

وكنت في شفيلد أخرج إلى أحراش وايتلي و شفيلد تسمى الصورة القبيحة في الإطار الجميل ، و في أحراش وايتلي المياه المتساقطة و الأشجار الباسقة ، ثم حديقة النباتات و الأزهار في شفيلد و في حديقة (النباتات) و الأزهار و أحراش وايتلي كتبت قصيدة (الفصول) و غيرها مثل قصيدة (الشلال) [1]

و في هذه القصيدة الأخيرة يصور شكري مظاهر القوة و الروعة في الشلال ، و لكننا نلمح خلالها ملل الشاعر من الحياة ، إذ تذكره سرعة المياه المتدفقة من الشلال ببطء أيام الحياة و تراخيها ، فيود لو تسرع به عجلة الحياة كما تسرع مياه الشلال وهذا الملل يجعلة يصور نفسه آسنة راكدة و يطلب من الشلال ان يخلصة من هذا الأسن و هذا الركود فيقول :

يا أخا الصمت في الجلالة و الرو ع ضو النكباء والهوجاء
إنّ في القلب لوعة ما تقضي أنت حاكيت همتي و رجائي
أحسب الخلد مثل مائك ينهـا ر و نفسي في مائه كالهباء
أنت فجرت في ضلوعي ينبو عاً من الشجو مسرعا في دمائي
ليت أن الحياة مثلك تعدو لا ترضي مثل الجياد البطاء
إن للعيش كدرة تذر النفـ ـس ركوداً كآسن في نهاء
فأعنى على الأواسن من نفـ سي بفيض ينهار مثل البناء

بل إننا نلمح في القصيدة نقمة الشاعر على الحياة ، و إحساسه بالظلم فيها ، إذ نراه يصور الشلال ناقما على الظلم الموجود في الطبيعة ، يريد أن ينصف الشلال من الجبل :

---

[1] رسالة بتاريخ ، ٦/ ١٠ / ١٩٥٥م .

إنما أنت ناقم ينصف السهـــ ل بفضل الشواهق الشماء

تجعل الوعر و الحزون سواء ليس نجد و وهدة بســـواء [١]

و تمتزج أحاسيس الشاعر بمياه الشلال ، و تنسكب أشواق روحة إلى المودة و إلى السعادة .. و لكنه ينهي القصيدة .. مثلما فعل في العديد من قصـــائده الأخـــرى بتذكر الموت و الفناء ، و أنهما نهاية كل شيء ، فيخاطب الشلال قائلا :

سوف تغدو كالشيخ في أخريات النهـــر تسعـــى بهمة شمطـــاء

فاغتبط بالمضاء و امرح طويلا كـــل شـــيء لطيـــة و فنـــاء

و بالرغم من جمال الطبيعة في انجلترا فإن الحياة لم تطب لشاعرنا في شفيلد : فإذا كان ما حول هذه المدينة جميلا فالمدينة نفسها غير جميلة ، فهي مدينة صـــناعية يتعانق فيها دخان المصانع ، كما تتراكم في سمائها السحب ، فيحيلها ذلك كلـــه إلـــى مدينة قاتمة مقبضة لا ترى نور الشمس إلا قليلا ، و لذلك نرى شـــاعرنا يصـــورها بأنها مثل (بطن الأرض) و مثل (السجن) قد تجهمت أرضها و ســـماؤها ، و تجهـــم الزمان لها ، و لبست الطبيعة فيها ثياب الحداد ، و من ثم فهو يحن إلى وطنه الحبيب مصر ، و إلى نسائم النيل التي تشفي العليل ، وإلـــى الطبيعـــة المصـــرية المرحـــة المشرفة.

و يقول في قصيدة بعنوان (شاعر في الغربة) [٢]:

كنت مثل الغـــريد جيء به من روضة و الـــزمان غيـــر ذميـــم

حيث وجه النهار جـــذلان بســـا م و وجه الظلام غيـــر بهيـــم

و دواع إلـــى الغنـــاء كثـــار من حبيب و موطـــن و حميـــم

انزلوه في منزل مثل بطـــن الـــ أرض جهم السماء جهم الأديـــم

عاش يبكي أيامه حيث صفو الـــ العيش سهل الجناب سهل النسيم

---

[١] الديوان ، ص ٥١٢ .

[٢] الديوان ، ص ١٥٤ .

و يقول في قصيدة أخرى واصفاً فيها أحاسيسه بالغربة في قصيدة بعنوان (حنين غريب) [1] :

أبغ في مصر آمرا بالتأسي وتمهل و انظر أماكن أنسي[2]
خذلتني فقمت انشد حظي في سوادها فكان مرد نحسي [3]
أنشقوني نسائم النيل إني لعليل و النيل حاجة نفسي
مَن معيني على خواطر أمّا طرقتني أغرت هواي بأمسي [4]
حيث وجه النهار يضحك بالبشـ ر ير فيروي ظماء زهر و غرس
أنا في بلد يمر بها الدهـ ر حزيناً لا يستضيء بشمس [5]

و لعل مما عمق إحساس عبد الرحمن شكري بالغربة انه شاعر مرهف الحس ذو طبيعة منطوية ، تجمع بين التحفظ و الحياء ، و هو نفسه يقول :

(إني قليل الاجتماع بالناس طول عمري) [6]

و مما زاد في الآم غربته أن صديقه إبراهيم المازني – الذي كان زميلة في مدرسة المعلمين العليا– يتناساه (و يوغل في اجتنابه) أثناء غربته ، و لذلك يكتب إليه من انجلترا معاتبا :

أإبراهيم قد طال اغترابي فهلا كان عندك بعض ما بي ؟
عليل النفس في بلد غريب يؤرقه التذكر و التصابي
عهدتك مرة تبغي إخائي و أنت اليوم توغل في اجتنابي

---

[1] (حنين غريب) ديوان عبد الرحمن شكري نقولا يوسف ص ١٥٥

[2] التأسي : التسلي

[3] خذلتني : أي أماكن انسي .

[4] ج. أغدت هوى بأمسي : أي بالزمن الذي قضيته في مصر

[5] ، د. سبب ذلك كثرة دخانها و أمطارها ، ل. حدادا: من سواد الدخان و الأمطار.

[6] رسالته بتاريخ ، ٢٦ / ٤ / ١٩٥٦م .

أراك على اغترابي ذا ابتعاد و كنت على اقترابي ذا اقتراب [1]

و عاد من انجلتـــرا في خريف عام ١٩١٢ و كان في السادسة و العشـــرين ، واستقبله صديقه المـــازني لدى وصولة بقصيده يقـــول فيها : (ديـــوان المازني) ج ١ (استقبال صديق) :

قد قل من يصدق الوداد فمـــا أحس من ودهم سوى كـــذبه

أما فتى صادق الهوى كأخي (شكري) يرد الزمان عن ذوبه

أوثق من تصطفي و أكرم من تأخـــذ من عقله ومن أدبـــه

وعين الشاعر في ذلك العام مدرسا للتاريخ و اللغة الإنجليزية بمدرســـة راس التين بالإسكندرية ، و بدأ يوم ذاك جهاده التربوي الذي دام نحو ربع قرن .

و لم يمضـــ عـــام على عودته هذه إلى وطنه ، حتى ظهر الجـــزء الثاني من ديوانه (عام ١٩١٣) مصدرا بمقدمة للأستاذ العقاد يقول فيها عن شعر شكري إنّه (ينبســـط انبساط البحر في عمق وسعه و سكون ...) ، (فإذا تلقى قراء العربية اليـــوم هـــذا الجزء الثاني من ديوان شكري ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ، قـــد سمح بها قلم سخي و قريحة خصبة ..)) [2]

ثم عين ناظرا ، ثم مفتشا ، إلى أن أحيل إلى المعاش حسب طلبه سنة ١٩٣٨ أي بعد حوالي ستة و عشرين عاما قضاها في خدمة متفانية للتربية و التعلـــيم فـــي مصر [3]

و يقول عبد الحميد غراب في كتابة عن شكري :

(... و فيما يلي تفصيل لتنقلاته في وزارة المعارف (وزارة التربية و التعليم الآن) بالنص الذي أرسله في خطابه بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٥ :

---

[1] الديوان ، ٣/ ٦٥ ، (ن ، ي ١٦٤)

[2] ديوان عبد الرحمن شكري ، ص ٥ .

[3] انظـــر مقالاته بعنوان (ذكريات سني التعليم) مجلّة الرســـالة ، ٢٤ / ٧ / ١٩٣٩م ، ص ١٤٤٤ ، ٢٧/ ٨ / ١٩٣٩م ، ص ١٥٣٨ .

العودة من البعثة	يوليو ١٩١٢
مدرس بمدرسة راس التين الثانوية (الإسكندرية)	١٩١٢– ١٩٢٠
مدرس بمدرسة العباسية الثانوية (الإسكندرية)	١٩٢٠ – ١٩٢٢
مدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية (الإسكندرية)	١٩٢٢ – ١٩٢٣
ناظر دمنهور الابتدائية	١٩٢٣ – ١٩٢٤
ناظر المنصور الابتدائية	١٩٢٤ – ١٩٢٥
ناظر العباسية الابتدائية (القاهرة)	١٩٢٥ – ١٩٢٦
ناظر دمنهور الثانوية	١٩٢٦ – ١٩٢٨
ناظر الزقازيق الثانوية	١٩٢٨ – ١٩٢٩
ناظر الفيوم الثانوية	١٩٢٩ – ١٩٣٣
ناظر حلوان الثانوية	١٩٣٣ – ١٩٣٤
ناظر العباسية الثانوية (الإسكندرية)	١٩٣٤ – ١٩٣٥
مفتش بالتعليم الثانوي (قسم الآداب) (القاهرة)	١٩٣٥ – ١٩٣٨
طلب الإحالة إلى المعاش	١٩٣٨

الفصل الرابع

العلاقة بين إنتاجه الأدبي وسياق هذا الإنتاج

ويلاحظ الأستاذ أحمد عبد الحميد غراب في كتابه (الاعتراف) عن عبد الرحمن شكري أنّه يسجل بعض الملاحظات على العلاقة بين إنتاجه الأدبي من ناحية، و "سياق" هذا الإنتاج من ناحية أخرى، ونعني بـ(السياق) الظروف الخارجية التي تم فيها هذا الإنتاج، ولا سيما من حيث أحداث العصر، وآثار البيئة المادية.

أما من حيث أحداث العصر فنلاحظ أن الفترة ما بين ١٩١٢ – ١٩٢٠م في حياة شكري كانت فترة حافلة بالإنتاج الأدبي، إذ أصدر خلالها معظم دواوينه الشعرية، وكل كتبه النثرية [١] وهنالك ظاهرة واضحة في إنتاجه الشعري والنثري خلال هذه الفترة ، وهي ظاهرة السخط والقلق، بل أحياناً اليأس والتشاؤم.

ولعل من أهم الأسباب التي تفسر لنا هذه الظاهرة أن مصر خلال تلك الفترة كانت تعيش في محنة الحرب العالمية الأولى، ومن المعروف تاريخياً أن المستعمرين البريطانيين قد انتهزوا تلك الحرب فرصة لإرهاب الشعب المصري واستغلال خيرات مصر وتسخير أبنائها ومواردها لمصالحهم. فأعلنوا التجمهر الذي كان يقضي بألا يجتمع أكثر من خمسة أشخاص في مكان ما، وعطلوا الجمعية التشريعية، واحتكروا محصول القطن المصري، يضاف إلى ذلك أنهم أعلنوا الحماية على مصر، فأصبح الاحتلال مقترناً بالحماية .. وهكذا تم وضع شعب عربي مسلم تحت السيطرة المسلحة لدولة أجنبية استعمارية [٢]، هذا إلى ما صاحب الحرب .

---

[١] من مجموع دواوينه الثمانية ظهرت له ست دواوين في هذه الفترة ، وكذلك ظهرت كتبه النثرية كلها : (الاعترافات) و(الثمرات) و(حديث إبليس) و(الصائف) و(الحلاب المجنون) ، أمّا مقالاته فقد نشرت ما بين ١٩٣٥م ، ١٩٣٩م ، وسنة ١٩٤٧م ، و١٩٥١ . انظر ص ٥٧ من كتاب أحمد عبد الحميد غراب ، عبد الرحمن شكري ، الحديث عن مؤلفاته وما بعدها .

[٢] راجع عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩م ، ١١/١ ، وما بعدها ٤١ ، ٥٤ وما بعدها .

والاحتلال من غلاء الأسعار وانتشار المخدرات والمسكرات وفساد الأخلاق.

فأن هذه الفترة كان لها أثر عميق في نفسية شاعرنا عبد الرحمن شكري، وكذلك في نفسية زميليه العقاد والمازني، وفي أدب هؤلاء الثلاثة وفكرهم بوجه عام.

يقول الأستاذ العقاد في رثائه للمازني (هذه الفترة فترة الحرب العالمية الأولى على التقريب – كانت في حياة المازني نقطة تحول، ومحنة عقل وسريرة، وأخال أنها شملتنا جميعاً بهذه المحنة الأليمة : فنفضها شكري عنه بقصائده العابسة في ديوانيه الثالث والرابع ، ونقضها عني بقصيدتي التي نظمتها على نمط الملاحم، وسميتها بـ(ترجمة شيطان) وراضها المازني كما راضته، فاستراح غاية ما استطاع من راحة، وعالجها يومئذٍ – ولم يزل يعالجها بعد ذلك بنزعة الاستخفاف وقلة الإكتراث [١].

وقصيدة "ترجمة شيطان" التي أشار إليها العقاد هي قصيدة طافحة بالأسى والتشاؤم والشك، وفيها ثورة عنيفة على الحياة والأحياء، وفي مقدمتها يقول : (وقد نظمت هذه القصيدة في أواخر الحرب العظمى "الأولى" فكل ما فيها من الألم واليأس هو لفحة من نارها وغيمة من دخانها) [٢]

أما الفترة ما بين ١٩٢٢م – ١٩٣٥م، وهي الفترة التي كان شكري يعمل خلالها ناظراً لمدارس متعددة، فكانت فترة ركود في نشاطه الأدبي والفكري، إذ لم يكتب – أو على الأقل لم ينشد – شيئاً خلال تلك الفترة، اللهم إلا قصيدة واحدة هي " النشوء والارتقاء". وهو يعلل ذلك بأن " المدارس شغلها يصرف ويعوق عن طبع الدواوين والكتب، كما أنها تعوق عن كتابة المقالات" [٣]

---

[١] مجلّة المجتمع اللغوي ، ج٧ ، سنة ١٩٥٣م ، ص ٤٠٢ .

[٢] ديوان العقاد ، ٣/ ٢٨٨ .

[٣] رسالته بتاريخ ٢١/ ٨/ و ١٥/٩/ ١٩٥٥م . وقد نشرت قصيدة (النشوء والارتقاء) بالمقتطف ١١/١/ ١٩٣٥م ، ن ي ، ص ٦٠١ .

الفصل الخامس
الاتجاه الأدبي الجديد لشكري

مدرسة شكري [1] :

أشرنا فيما سبق إلى تعرف العقاد بالمازني وشكري، وتقديم العقاد للجزء الثاني من ديوان شكري، وأن المعرفة قد توطدت بين ثلاثتهم فكونوا " ثالوثاً" وإن لقاءهم كان في ميدان المعرفة، وأنهم صاروا ينشدون رسائله النقدية فيما بعد، التي كانت تبشر باتجاههم الأدبي الجديد في صحيفة "عكاظ " وغيرها.

وقد نشأ اتجاه هؤلاء إبان شيوع الشعر التقليدي وسيطرته على الحياة متأثراً بمختلف اهتماماتها ومرتبطاً في الوقت نفسه بالطبقة العالية من المجتمع غير حافل بالسواد الأعظم منه، وقد انساق شعراء التقليد في هذا التيار الذي يعبرون فيه عن غيرهم وينسون وجداناتهم ومشاعرهم الخاصة، وعدت رسالة الشاعر تعادل رسالة الموظف لدى كبار الشعراء، وليس أدل على ذلك من أن شوقياً لم يكن موظفاً في القصر إلا لأنه كان شاعراً، وأصبح الشعراء ينفسون عليه هذه الخطوة لدى الخديوي وحاولوا أن يستلبوه هذه الوظيفة، وحاول كثير من الشعراء الذين لم ينالوا حظاً من الشهرة أن يقلدوا الشعراء الموظفين باعتبارهم المثل الأعلى

وفي هذا الجو الخانق لفردية الشاعر، وحريته ونسيانه ذاته ومشاعره ووجدانياته برز هؤلاء الشعراء الثلاثة من الشبان، لأنهم ضاقوا ذرعاً بالحياة الأدبية والفكرية في مصر فاتجهت أنظارهم صوب التراث العالمي من فكر وحضارة وأدب يعبون منها بنهم شديد، لترتوي نفوسهم الظمأى من ذلك التراث، في الوقت نفسه قاموا بدراسة التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة في العالم، وخرج هؤلاء الشباب من ذلك كله بثورة عاتية، ولوعة مضنية في نفوسهم حين قارنوا بين تلك التيارات في

---

[1] بعد عودة شكرى من البعثة يتعرف برفيقيه المازني والعقاد ، ويقوم منهما مقام الصديق بل مقام المرشد والموجّه فيعترفان له بثقافته العلمية في كثير من مقالاتهما ، ويعترفان بهذه الأستاذيّة .

العالم وبين الحالة الأدبية في مصر فهالهم الأمر بادي ذي بـــدء، لأن مصـــر كانـــت متخلفة عن الركب الحضاري والفكري والأدبي العالمي، واشتدت تلك الثورة عتـــواً وتلك اللوعة اختبـــاء، حينما وجدوا أن منابـــره الأدب في مصر يتبوأهـــا شـــعراء مقلدون [1]، في حين يحس هؤلاء الثائرون بما في نفوسهم من إمكانات أدبية ضخمة، ويرون نفوسهم ظلالاً حائرة تضيع في الزحام والضجيج ومن ناحية أخرى فإن بريق المجد الأدبي يخلب أبصارهم، والبحث عن المثل الأعلى يضـــني نفوســـهم الرقيقـــة الحساسة الثائرة.

ومن هذا الصراع الناشب بين طموح هذا النفر من الشعراء وأحلامهم وبـــين واقعهم المرير الذي يعيشونه في ذلك الوقت، وهم من الطبقـــة الكادحـــة – انـــدفعوا يحطمون بمعاولهم كل عقبة كأداء تصادفهم، وأنكروا أصنام الأدب وعملهم وطلبـــوا عملاً أصلح منه وأوفى، وأحدثوا في الحياة الأدبية دوياً هائلاً فـــي جـــرأة منقطعـــة النظير، ويحمل هذا الدوي في حياته تياراً جديداً في مطلع هذا القرن العشرين.

وقد تجلى ذلك كله في دراساتهم النقدية التي كانوا ينشـــرونها فـــي صـــحيفة (عكاظ) وغيرها من الصحف الأسبوعية التي يهدفون من وراءهـــا إلـــى إرســـاءها مدرستهم بنقد الآخرين أو بتقديم أعمال بعضهم ومقارنتها بغيرها من الأعمال وإظهار البون الشاسع بين اتجاههم الأدبي الجديد وبين الاتجاه السائد، وذلك كما حـــدث فـــي موازنة المازني بين شعر شكري وحافظ في صحيفة (عكـــاظ) التـــي ابتـــدأت يـــوم ٢٧يوليه سنة ١٩١٣م بسلسلة من المقالات ذهب في المقالة الأولى منها إلـــى أنـــه لا يجد أبلغ في إظهار فضل شكري والدلالة عليه، وبيان ما للمذهب الجديد على القـــديم من المزية والحسن، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكري، وآخر ممن ينظمون الشعر بالصيغة مثل حافظ، فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضاً في المذاهب وتبايناً في المنزع من هذين، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد.

---

[1] راجع (العقاد يتحدثّ عن النقد والنقاد) لعبد الحي دياب في مجلة المجلّة ،أبريل ١٩٦٢ .

ثم يختتم هذه المقالة بقوله : (وبعد: فإن حافظاً إذا قيس إلى شكري لكالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر، وحسب القارئ أن يتأمل ديوانيهما ليعلم ما بينهما من البعد وليعرف كيف يقعد الخيال بحافظ ويسمو بشكري في سماء الفكر، وكيف يجني التقليد على رجل ويغلق في وجهه أبواب التصرف والتغني، فإن حافظاً قد حذا في شعره حذو العرب وقلدهم في أغراضهم وفرط في عنايتهم بإصلاح اللفظ وأن فسد المعنى) [١].

وقد ساند المازني في موازنته هذه التي استمرت حتى عام ١٩١٤م عباس العقاد، إذ سانده بتحطيم حافظ من وجهة نظره وذلك في مقالتين تحت عنوان "الشعراء الندابون" نشرتا في "عكاظ" كذلك، ووصفه فيها بأنه شاعر نداب وقف شعره على الندب والولولة والعويل مدعياً أن لكل عصر شعره، وإن هذا العصر لا يحتمل الندب والعويل، ولا يلجأ إلى الندب والعويل إلا شاعر مغلق الذهن ولا يتيقظ خياله إلا بمنخاس الغلو الفاحش والمبالغة المستحيلة [٢].

ويتضح مما تقدم إنهم لم يدخرو وسعاً في سبيل إرساء اتجاههم الجديد الذي اتضحت معالمه فيما بعد في " مدرسة الديوان" وأنهم استخدموا من الأساليب أقساها، ذلك ليصدم الشعراء الذين جمدوا على التقليد لا يريمون ولا يبغون عنه حولاً، ومن هنا لم يكن في وسع هؤلاء أن يستخدموا مع المقلدين العنف في الأسبوع مشوباً بالسخرية والتهكم، ذلك لأنهم كانوا في حالة من اليأس ونقطة التحول الفكري الذي أدى إلى محنة العقل والسريرة وذلك قبيل الحرب العالمية.

فالعنف في الأسلوب إذن سمة من السمات التي تدل على الثورة الكامنة في نفوس هؤلاء الشباب، تلك الثورة التي ابتعثتها دواعي القلق من جراء الانطلاق الفكري والأدبي الذي يشيع في وجداناتهم وعقولهم.

---

[١] عكاظ ، يوم ٢٧ من يوليو ١٩١٢م ن العدد ٣ .

[٢] عكاظ في عددي ٩ ، و ٢٣ من مارس سنة ١٩١٤م .

ويصف العقاد هذه الفترة وما اتسمت به، ويبين أثرها في نفسه ونفس صديقيه فيقول : (وأخال أنها شملتنا جميعاً بمحنة العقل الأليمية فنفضها شكري عنه بقصائده العابسة في ديوانيه الثالث والرابع، ونفضتهما عني بقصيدتي التي نظمتها على نمط الملاحم وسميتها بترجمة شيطان، وراضها المازني كما راضته فاستراح إليها غاية ما استطاع من راحته وعالجها يومئذٍ – ولم يزل يعالجها بعد ذلك بنزعة من الاستخفاف وقلة الاكتراث [1].

ومعنى هذا أن هؤلاء الشعراء وإن اتفقت نشأتهم في أسرهم إلى حد ما بوصفهم من الطبقة الوسطى، وتقاربت سنهم إلى حد ما أيضاً [2]، واتفقت كذلك معرفتهم ومنابع الثقافة التي وفدتهم، إن اتفقوا في هذه الأمور كل الاتفاق أو بعضها فإن هذه الفترة – كما يقول العقاد – كان لها أثر كبير في اختلاف طبائعهم وأمزجتهم إلى حد ما، ففي حين نجد العقاد في طبعه حدة وصلابة وقوة وعنف وعدم مبالاة بالجمهور، نجد أن شكري منطو على نفسه، في خلقه لين ورقة وانزواء، أما المازني فيتفق مع العقاد في عدم المبالاة بالجمهور ولكن من ريق آخر وهو ريق الدهاء والمكر والسياسة التي جعلته أحياناً لا يعترف بشاعريته ويقود دائماً لشانئيه حسبي من الأدب ما كتبته من المقالات....

وليس معنى اقتسامهم ميدان الشعر إنتاجاً وفكراً إنهم لم يفيدوا بعضهم من بعض وذلك لأنهم كانوا يبحثون في المبادئ النقدية والإنتاج الذهني، ويحاول كل منهم أن يخلق من أخيه شاعراً صادقاً في تعبيره، وفي الوقت نفسه يصدر شعره عن شحذ لأفكاره.

وفي تصورنا أن موقف هذه المدرسة من القدماء واختلافهم فيما بينهم من حيث الطبائع والأمزجة ونظرتهم للحياة، يذكرنا هذا الموقف بموقف شعراء البحيرة

---

[1] بعد الأعاصير ، ص ١٤٥ .

[2] ولد عبد الرحمن شكري في ١٢ أكتوبر سنة ١٨٨٦م ، والعقاد في ٢٨ يوليو ١٨٨٩م ، والمازني في ١٩ أغسطس ١٨٩٠م .

في الأدب الإنجليزي، وموقفهم ممن سبقهم أو عاصرهم مـــن الشـــعراء أو النقـــاد – وتتمثل هذه المدرسة في كوليروج ووليام هازلت وروبرت براوننج – وموقفهم ممـــن سبقهم أو عاصرهم من الشعراء والنقاد.

على أننا نقول : إنه على الرغم مما بين مدرسة الـــديوان ومدرســـة شـــعراء البحيرة من أوجه الشبه بالنسبة لموقفهم من القدماء، وموقف بعضهم من بعض، ومن ثم يسوغ لنا أن نرجع الجفوة التي حدثت بين المازني وشكري إلى طبيعة مزاج كـــل منهما وهي ما سبق أن وعدنا بالحديث عنها.

الفصل السادس

المازني وهجومه الظالم على شكري .

خصومة المازني وشكري:

حقيقة أن طبيعة شكري هي التي سولت له أن يبدي سرقات المازني من الأدب الإنجليزي، لأنه رجل متقزز الأعصاب متوفزها، يقيمه النقد ويقعده، مهما يكن مصدره، لأنه يخشى أن يكون النقد مبرراً لمروجي الشائعات والتهم الذين كانوا يناصبون دعاة المذهب الجديد العداء [١].

وفي اعتقادنا أن شكري قد استفز المازني أولاً، لأنه لم يقتصر على النقد، بل كثيراً ما غمزه، ولم يستنكف أن يصيبه في رزقه، إذ نبه إلى مقالات كتبها المازني بإمضاء مستعار ضد ناظر المعارف آنذاك (حكمت باشا) حيث كان المازني يعمل مدرساً بمدارس الوزارة ولم ينج من التشهير [٢]، ويؤكد الأستاذ علي أدهم تلميذ شكري، أن شكري في تنبيهه على سرقات المازني لم يكن مخلصاً كما يدعي حين يزعم أنه لا يتأثر من رؤية العفريت كما يتأثر من رؤية هذه السرقات، لأن الأستاذ أدهم قد حدثه عن قصيدة " فتى في سباق الموت" للشاعر "هود" التي سرقها المازني في ذلك الوقت كان يكتب عن شكري عامي ١٩١٣- ١٩١٤م في صحيفة "عكاظ " ويجعله محور التجديد والمبشر بالمذهب الأدبي الجديد كما يدعي [٣]. فلما وقع الخلاف بينه وبين المازني ذكر له هذه السرقات ولم تكن من باب المفاجأة حين يقول في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه:

(ولقد لفتني أديب إلى قصيدة المازني التي عنوانها "الشاعر المحتضر" البائية التي نشرت في "عكاظ" واتضح أنها مأخوذة من قصيدة : أدونتي" للشاعر "شللي"

---

[١] كتاب عباس العقاد ناقداً ، تأليف عبد الحي دياب ، الدار القوميّة للطباعة ، ص ١٢١ .

[٢] أدب المازني للدكتور نعمات فؤاد ص ٧٧ ، وما بعدها .

[٣] كتاب عباس العقاد ناقداً تأليف ، عبد الحي دياب ، ص ١٢١ – ١٢٢ .

الإنجليزي كما لفتني أديب آخر إلى قصيدة المازني التي عنوانها "قبر الشعر" وهي منقولة عن "هيني" الشاعر ؟؟، ولقد لفتني أديب آخر إلى قصيدة المازني التي عنوانها " فتى في سباق الموت" وهي للشاعر "هود" الإنجليزي، ولفتي أيضاً أديب إلى قصيدة المازني التي عنوانها "الراعي المعبود" وهي منقولة عن الشاعر "لويل" الأمريكي، وقصيدة المازني التي عنوانها " الوردة الرسول" وهي للشاعر "ولر" الإنجليزي، وأشياء أخرى ليس هنا مكان إظهارها.

وقرأت له في مجلة البيان مقالة " تناسخ الأرواح وهي من أولها إلى آخرها من مجلة " السبكتاتور" لأديسون الكاتب الإنجليزي، ومن مقالاته في ابن الرومي التي نشرت في " البيان" قطع طويلة عن العظماء وهي مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء، تأليف فكتور هيجو ، ومن مقالات "كارليل" الأدبية، وقد ذاعت هذه الأشياء [١].

وينتهي شكري من هذا الاستفزاز إلى قوله : (ولا أظن أن أحداً يجهل مرمى المازني وإيثاري إياه وإهدائي الجزء الثالث من ديواني إليه وصداقتي له، ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار من أظهرت ومعاتبته في علمه ، لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع في ماضيه، حتى يداوي ما فعل ويرد كل شيء إلى أصله، وليس الإطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء عدم ظهور هذه الأشياء، ولسنا في قرية من قرى النمل حتى تخفي [٢]

وفي اعتقادنا أن حديث شكري عن مدحه للمازني وإهدائه للجزء الثالث من ديوانه إليه، ما هو إلا دليل واضح على سوء نيته تجاه المازني، مهما يسرف تلميذ [٣]، شكري وتبرير نقد أستاذه للمازني،بأنه لم يكن إلا رداً على انتقاص المازني من شعر أستاذه ونسبه بعضه إلى شعراء الغرب.

---

[١] عبد الرحمن شكري ، لنقولا يوسف ، في مقدمة الجزء الخامس ، ص ٣٧٣ .

[٢] المرجع السابق ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

[٣] المرجع السابق ، ص ٥ .

ونحن لا نصدق هذا التبرير من تلميذ شكري لسبب واحد هو أن المازني كان يعتبر شكري في شعره مبشراً بالمذهب الأدبي الجديد، وقد نشر سلسلة من المقالات في جريدة "عكاظ" عقد فيها موازنة بين شاعرية شكري وشاعرية حافظ، ذهب فيها إلى أن حافظ إذا قيس إلى شكري لكالبركة الآجنة إلى جانب البحر العميق الزاخر، وذلك عامي ١٩١٣ – ١٩١٤. ولذا فلم يكن من المعقول أن يتغير رأي المازني في شاعرية شكري إلى هذا الحد. ولا سيما أن ما نقل عن المازني من انتقاص لشعر شكري لم ينشد منه شيء، بل إن المازني نفي أنه رمى شعر شكري بالسرقة ووصف عمله هذا بأنه عنت ظاهر يرينا مبلغ فهمه وعدله [١] ولم يقف المازني إزاء النقد الجارح، الذي يدل على سوء نية من شكري مكتوف اليدين، وإنما رد عليه بمقالة في جريدة "النظام" ينتقد فيها شعر شكري، ورد على نقده شكري بمقالة في الجريدة نفسها [٢].

وقد أبدى المازني من وجهة نظره دعوى السرقة مدعياً أنه كان يجب أن يقضي عن هذه التهم اكتفاء بإظهار الجزء الثاني من ديوانه، فأنه وحده خير رد على ما رمى به ولكن الضجة التي قامت حول هذا الموضوع والشماتة الحقيرة التي لم يخفها قتلي المذهب العتيق، لا يجعلان السكوت من الحزامة في شيء، ولقد كان من الإنصاف الايلام غيره إذ ما صح النسب إليهن ولكن الناس تجاوزه إلى غيره، واتهموا سواه قياساً عليه [٣] .

وهذه الضجة المرتبة المبيتة لم تكن مقصورة على الجزء الأول من ديوان المازني الذي طبع فقط ، وإنما تجاوزته إلى شعر لم ينشره بعد، وظهر في الديوان

---

[١] ديوان المازني ، مقدمة الجزء الثاني ، طبعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

[٢] راجع العقاد يتحدّث عن النقد والنقاد لعبد الحي دياب في مجلّة المجلّة ، العدد ٦٣ ، أول أبريل سنة ١٩٦٢م .

[٣] مقدمة الجزء الثاني من ديوان المازني ، ص ١٢٠ .

الثاني الذي صدر بعد هذه الضجة الخرقاء، ومن ثم فإن المازني ليعجب كيف يستحل شانئوه لأنفسهم أن يحرموا أنه إذا طبع الجزء الثاني لا محالة منتحل هذه القصائد ؟ وهي "الراعي المعبود" "والوردة الرسول" و " الغزال الأعمى" " وإكليل الشوك" وخمسة أبيات من قصيدة "الشاعر المحتضر" وكلها منشورة في الجزء الثاني منسوبة إلى أصحابها [١].

ويختتم المازني في مقدمته بقوله : ولئن كان ما أخذ علينا دليلاً على شيء فهو دليل على سعة الإطلاع وسرعة النسيان وهو ما يعرفه عنا إخواننا جميعاً.

هذا لا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكري أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام [٢].

ويبدو أن شكر المازني لشكري لم يكن باعثاً لأن يرجع من غيه ويقلع عن استفزازه لصاحبه، لأنه كتب بعد ذلك في مجلة المقتطف [٣] مقالة حول هذا الموضوع، ذهب في مقالته إلى أن الإطلاع على الآداب الغربية كان معدوداً من الجرائم والتهم في أعين الأدباء، لأنه مظنة السرقة، وذلك لأن بعض الشبان لا يدين بدين الملكية في الأدب والعقول مثل التربة تحتاج إلى أن تتعهد بما يظهر خصبها .

ثم ينبه إلى أن المسألة التي يتكلم فيها ليست تافهة، وإلا لما تعرض لها، لأنها تشمل قصائد ومقالات كثيرة تسئ ظن الناس بأهل العلم والابتداع.

وتبعث على الفوضى في العلوم والآداب، ولقد شاعت حتى لم يعد يمكن كتمانها .

ويمهد لحديثه عن سرقات المازني بما يفيد أن كل أديب حارس من حراس الأدب ومن واجبه أن إلا يغفل عن حراسته، فقد شاع بين الأدباء أن المازني قد أخذ بعض قصائد كاملة من شعراء الغرب وأفكاراً متفرقة. وأنه لم ينتبه إلى هذه التهمة

---

[١] مقدمة الجزء الثاني من ديوان المازني ، ص ١٢٠ .

[٢] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

[٣] من كتاب عباس العقاد ناقداً تأليف عباس دياب ، ص ١٢٤ .

التي لحقت بالمازني وأهدى إليه ولكن الأدباء لفتوه إلى هذه السرقات وأخذ يعدد القصائد التي انتحلها المازني وينسب تنبيهه إليها إلى واحد من الأدباء ويسميه.

ويدعي شكري في هذه المقالة أنه نبه المازني إلى هذه القصائد فاعترف أنها ليست له، ولكنه قال إنه نظمها وهو يظن أنها له، ذلك لأنه حفظ المعاني ونسى أنها لغيره، فنصحه شكري بأن يتجنب ذلك فوعده المازني أن يتجنب أمثال هذه المآخذ في المستقبل ولكنه لم يف بوعده، لكنه انشد شكري بعد ذلك قصيدة "أكليل الشوق" و"الغزال الأعمى" وهي أيضاً من هذه المآخذ [١]

ثم انتقل شكري من سرقة الشعر إلى سرقة الدراسات، وأشار إلى أن مقال المازني "تناسخ الأرواح" مأخوذ من أوله إلى آخره من مقالات "أديسون" الكاتب الإنجليزي الشهير في مجلة "السبكاتور". كما أن مقالات المازني في "ابن الرومي" بل في العبقرية والعظماء، معظمها مأخوذ من كتاب عنوانه "شكسبير" تأليف فكتور هيجو الشاعر الفرنسي وبعضها من مقالات " كارليل" الأدبية [٢]

ويضيف شكري أنه نبه المازني إلى ذلك، فقال : ماذا أصنع ؟ هل أطوف على الناس أسألهم : هل رأوه من قبل ؟ ويمضي شكري في سخريته وتهكمه بالمازني في مقالته هذه حتى ينتهي إلى قوله : (ولا أريد أن أذكر مآخذ المعاني المفردة والأبيات المتفرقة، ولكنني أكتفي من المقال بذكر ما قدرت أن أحصيه من المقالات والقصائد التي أخذت كاملة [٣].

ولم يكتف شكري باستفزازه للمازني ، وإنما أضاف إليه العقاد، وأخذ ينقد شعرهما معاً في سلسلة من المقالات في "عكاظ" عامي ١٩١٩، ١٩٢٠م تحت عنوان " ناقد: وقد أكد الأستاذ علي أدهم أن هذا "الناقد" هو عبد الرحمن شكري، بل يزيد المسألة تأكيداً فوق تأكيد حين يذهب إلى أن كثيراً ما رآه في هذه الفترة مصطحباً

---

[١] مجلّة المقتطف عدد يناير سنة ١٩١٧م .

[٢] المرجع السابق .

[٣] المرجع السابق .

الشيخ فهيم، وذلك لأنه قد وقع بين العقاد والمازني وبين الشيخ فهيم سوء تفاهم أدى إلى مقاطعتهما صحيفته، ولم يكتب إليه بعد ذلك. ومن هنا فإن الخصومة قد دخلت طوراً جديداً وهو طور الرد على استفزاز شكري المتكرر للمازني والعقاد، وكان الرد من جانب المازني فقط ووقف العقاد إزاء هذه المعركة حيران صامت [١].

أما المازني فلم يشأ أن يسكت على استفزاز شكري المتكرر للمازني والعقاد، وكان الرد من جانب المازني فقط ووقف العقاد إزاء هذه المعركة حيران صامتاً.

أما المازني فلم يشأ أن يسكت على استفزاز شكري المتكرر وتواطئه مع صاحب "عكاظ" الذي كان يدلي بدلوه في هذه المعركة بالتعقيب الذي ينم عن بذاءة لسانه المعهودة فيه، والتي لا يستغربها القراء إذا ما أتيحت لهم الفرصة لقراءة تعقيباته أو مقالاته.. لم يشأ المازني أن يسكت على اتهام شكري له بانتحال عدة معان، بل عدة قصائد من الشعر الإنجليزي المشهور في المجموعة التي سميت بالذخيرة الذهبية [٢].

لم يشأ المازني حينئذٍ أن ينتهز فرصة سفر العقاد إلى أسوان لأمر يتعلق بصحته من ناحية وبالسياسة من ناحية أخرى، فكتب المازني ما كتب بعيداً عن العقاد الذي ترك الجزء الأول من " الديوان في الأدب والنقد" في المطبعة تحت رقابة المازني وسافر هو إلى أسوان، وكان العقاد ممسكاً زمام المازني طيلة ست سنوات منذ هاجمه شكري ، فكان العقاد لا يسمح للمازني بمهاجمة شكري، لأنه يعلم أن سبب تشاؤمه ونفوره من الناس أنه كان مريضاً بالنورستانيا فسمم المرض عيشته [٣] .

ومن هنا فإن سفر العقاد قد أتاح الفرصة للمازني لكي يشفى ما في نفسه بنقد عبد الرحمن شكري في فصل ألحقه بالجزء الأول من " الديوان في الأدب والنقد"

---

[١] علي أدهم في مجلة المجلّة ، عدد فبراير ١٩٥٩م ، وحديث خاص معه يوم ٤ من يوليو ١٩٦٤م .

[٢] هي مجموعة جمع فيها فرانسيس بلجريف أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد خير ما كتبه الشعراء الإنجليز من شعر غنائي منذ عصر شكسبير ، حتى نهاية القرن التاسع عشر .

[٣] من حديث خاص مع العقاد ، نقلاً من كتاب عباس العقاد ناقداً لعبد الحي دياب .

وكانت لهجته في نقده لشكري يتخللها اتهام له بالجنون والخرس والادعاء والبكم والحقد، وأنه منكود ومائق .... إلى آخره...

وبعد ذلك يطير جواب عبد الرحمن شكري ويتهم صديقيه اتهامات تتمثل في المنزلة الوضيعة والعرض المستباح، وأنهما خنازير الإنسانية، وغير ذلك من الاتهامات التي نربأ بأنفسنا وبالقراء من تدوينها، وإن كانت قد نشرت [١] في صحيفة "عكاظ" فلأنها كانت صحيفة لا تمثل فيها، وبالإضافة إلى ذلك فإن العصر الذي نعيشه الآن لا يبيح النشر لتلك الترهات والسخافات التي كانت تنشر في الماضي، ورأي بعض الكتاب أن الفرصة سانحة لتوسيع شقة الخلاف والقضاء على هذه المدرسة في أشخاص أصحابها، فوقفوا ظلماً في جانب شكري، واتهموا المازني بالتحامل عليه [٢] والظلم له، كما أتهم العقاد نفراً آخر [٣] بأنه شبه الخلاف والذي بذر بذور الفتنة بين المازني وشكري ثم وقف بعد ذلك موقف الحياد الذميم.

بيد أن هؤلاء الكتاب – فيما نعتقد – لو وقفوا على حقيقة الأمر، كما صورناها، لعرفوا أن المازني كان معذوراً في نقده لشكري، لأن شكري هو الذي أساء إلى المازني أولاً واستمرت إساءاته تتكرر وتتكرر حتى استثارت المازني، وهو رجل متطرف لا يلزم الوسط إن رضي أو غضب.

ولعرفوا أيضاً أن العقاد كان سمحاً مع شكري غاية السماحة، على الرغم من توضيح شكري فيما كتبه عنه ووصفه له بالنشأة الوضيعة .. إلى آخر ما تفتقت عنه نفس شكري أوصاف لا يسكت عنها إنسان عادي فضلاً عن العقاد الحساس.

وفي اعتقادنا أنه لم يسكت عن الرد على شكري خوفاً، إنما دفعه إلى ذلك الخوف من تبديد شمل الجماعة التي قامت لإرساء قيم في الأدب والفن يحتاج إليها

---

[١] نشرت عام ١٩٢٠م في الأعداد : ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٢ ، وغيرها ، نقلاً من كتاب عباس العقاد ناقداً لعبد الحي دياب .

[٢] من مؤلّف الكتاب مصطفى السحرتي في كتابه ن الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، ص ١٥٧

[٣] من هؤلاء الكتاب محمود الخولي : في مجلّة أبولو ، يونيو ١٩٣٤م .

الوطن أيما احتياج، ومن ناحية أخرى كان سكونه خوفاً من فرحة صرعى المذهب القديم، ومن ثم فإنه لم يطب نفساً لتلك الجفوة التي حدثت بين صاحبيه، فجمعهما ورأب الصدع وعاهدهما على أن يكفا، فرضيا حكمه، وكتب العقاد يومئذٍ مقالة في " الأفكار" وصف ما جرى بينهما بأنه مصارعة أصدقاء لا مقاتلة أعداء، وإنقشعت السحابة وعادت سماؤهما صفواً [١] .

وقد وصف العقاد هذه الجفوة بين صديقيه وموقفه منهما في رثاء عبد الرحمن شكري بقوله [٢] :

أبذل الخلد وأفدي بالمدى ساعة أشفي بها قلبين صدّا
ساعة يذهب فيها غضب بين صنوين طغى ثمّ استبدا
نفراً وا أسفي بينهما نفرة ما عرفت في القلب حقدا

على أن المازني أحس بإحساس الفنان أنه كان عنيفاً في نقده لحافظ وشكري فندم على أستخدم العنف في نقده ووصفه بأنه كان فورة شباب فكتب بعد أن تقدمت به السن مقالاً في جريدة " السياسة" إرضاء لشكري وتطييباً لخاطره ولا سيما أنّه زميله الذي قضى معه فترة الشباب، والثائر معه على القيم الأدبية البالية، وكان هذا المقال بعنوان : " التجديد في الأدب العصري" إذ جاء فيه (وقل من يذكر الآن شكري حين يذكر الأدب ويعد الأدباء، ولكنه على هذا رجل لا تخالجني ذرة من الشك في أن الزمن لا بد منصفه.

---

[١] راجع أدب المازني ، لنعمات فؤاد ، ص ٧٧ .

[٢] جريدة الأخبار الصادرة في ١٨ من ديسمبر ١٩٥٨م ، العدد ٢٠١٠ .

وإن كان قصره قد أخملهن ولقد غير زمن كان فيه شكري محور النزاع بين القديم والجديد، ذلك أنه كان في طليعة المجددين، إذا لم يكن هو الطليعة والسابق إلى هذا الفضل [١] .

ولم تكن هذه المقالة هي المقالة الوحيدة التي كتبها المازني يترضى بها شكري بل أنه كتب في الجريدة نفسها وفي الأسبوع التالي للمقالة الأولى مقالة فحواها أن شكري قد احتمل وحده في أول الأمر وعكة المعركة بين القديم والجديد، وأنه رجل حساس رقيق الشعور، سريع التأثر، وميال بطبعه إلى اليأس، فشق عليه أن يظل يدأب وليس لهمن يعتني به، وإنه يقضي خير عمره يرفع صوته بأعمق ما تضطرب به النفس الملهمة الفياضة الحساسة وليس له من يستمع إليه أو يعيره لغتة [٢] .

وعلى الرغم من ذلك التقدير الذي تفيض به كلمات المازني فإن شكري كان لا يزال غاضباً، ومن هنا فإن المازني لم تطب نفسه لذلك، ولا سيما أنه رأي أن بعض الكتاب لا يزال يعمل على توسيع شقة الخلاف، كرمزي مفتاح وغيره من الذين كانوا يناصرون شكري، لا خدمة لقضية أدبية بل بغية توسيع شقة الخلاف وتفريق الشمل وتشتيت جهود العمالقة الثلاثة، حينما رأي المازني ذلك، ما كان منه إلا أن كتب مقالة ثالثة في اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩٣٤م، يعتذر فيها عما بدر منه ويعلن فضل شكري وتوجيهه له وتأثيره فيه، وأنه لولا عون شكري المستمر للمازني لتخبط أعواماً أخرى وكان من المحتمل أن يضل طريق الهدى.

وكان لمقالات المازني في شكري أثر وضيم العاقبة بالنسبة لمدرسة الديوان لأن كثيراً من الكتاب في ذلك الوقت عدوا شكري أستاذاً لهذه المدرسة وأستندوا في ذلك إلى مقالات المازني، الأمر الذي جعل العقاد يفزع إلى جريدة "الجهاد" وينشر مقالة يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٤م عقب نشر مقالة المازني الأخيرة بثلاثة أيام

---

[١] إبراهيم المازني في السياسة ، ٥ من إبريل ١٩٣٠م .

[٢] المرجع السابق .

وأعلن في هذه المقالة أنه لم يتأثر بأحد وليس لإنسان عليه فضل ولـــيس تلميـــذ لأي مخلوق.

ولم يرتض هذا الموقف شكري فكتب مقالة على الأثر في صحيفة البلاغ يـــوم ٦ من سبتمبر سنة ١٩٣٤م، وعلق فيها على مقالتي العقاد والمازني مدعياً أنه لم يقل لأحد أنه أنشأ مذهباً جديداً في الأدب أو أنه أستاذ لأحد، ويؤكد بأنه ليس بينه وبـــين العقاد أو المازني تنافس على شهرة أو حرفة أو رزق ولا يحمل لأحدهما ضغينة، كما أنه لم يحرض أحداً على نقد العقاد، أو على اتهامه بالأخذ منه، بل كان دائمـــاً ينفـــي ذلك كما يشهد بذلك خصوم العقاد أنفسهم [١].

ولم يكتف شكري بذلك بل عاد فكتب في "المقطم" مقالة يوم ١٢ من ســـبتمبر سنة ١٩٣٤ تحت عنوان " الشهرة والخلود" كرر فيها ما قاله في مقالته الأولى علـــى أن العقاد قد أكد لنا أن المازني قد زار مدينة الفيوم وشكري ناظراً لمدرســـتها، فلـــيم يحسن لديه أن يقضي بالمدينة ساعات من غير أن يقصـــد إليـــه ليلقـــاه فلـــم يجـــده بالمدرسة، وقيل لشكري : أن المازني عاد إلى القاهرة وقد وقر في نفســـه أنـــك قـــد تعمدت الاختفاء منه، وذلك لبقية في نفسك من العتبى عليه بعد ما كان بينكما من النقد والملاحة، فنظم شكري قصيدته الدالية التي خاطب بها المازني وقال [٢]:

رحيق الحياة الود لـــو دام صـــافياً وكالراح أحلاه المعتـــق ذو العهـــد
وأحسنه ما كان من عصرة الصـــبا ولم يحل بعد الشيب مستحدث الود
رأيت الصبا وداً، وود الصبا صباً كيانها الممـــزوج كالجوهـــر الفرد

ثم وصف العقاد هذه القصيدة بأنها من أبلغ ما نظم شكري ومن أبلغ الشـــعري العربي جميع عهوده [٣]

---

[١] نقولا يوسف في مقدمة ديوان شكري ، ص ٩ ، طبعة ١٩٦٠ .

[٢] ديوان شكري ، ص ٦٠

[٣] من حديث خاص مع الأستاذ العقاد ، وراجع كذلك عدد الأخبار الصـــادر يـــوم ٢٢ مـــن ديســـمبر ، ١٩٥٨م .

ويؤكد نقولا يوسف أنّ شكري قد زار القاهرة عام ١٩٤٤م وأنتهز الفرصة قرار المازني في دار جريدة "البلاغ" كما زار العقاد، ولم يعد يذكر هذا الموضوع أو يتحدث عنه، وعاد المازني يتحدث عن ذكرياته في جريدة "أخبار اليوم" يوم ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٧م أي قبل وفاته بعامين، معلناً أن شكري على الرغم من أنه كان زميله فإنه كان أستاذه وموجهه الذي تولاه برعايته [١].

ذلك مجمل ما دار حول خصومة المازني وشكري التي بالغ الناس في نتائجها وذهبوا فيها مذاهب شتى [٢].

فمن قائل : أنها كانت سبباً في انزواء شكري وتحطيم قلمه [٣] ومنهم من أخذ جانب شكري وأنحاز له وحاد عن الصواب [٤] ومنهم من اعتبر المازني متحاملاً على شكري وظالماً له غاية الظلم .

بيد أننا لا نسلم بهذه الآراء لأنها تبدو من وجهة نظرنا الخاصة في حاجة إلى نقاش طويل من شأنه أن يضع الحقيقة في نصابها ويبرزها في وضوح وجلاء.

أما مسألة الأستاذية وهي أهمها فنقول : إن دعاتها لم يستندوا إلا إلى مقالات المازني في هذا الشأن ، والمازني رجل سمح، فلم يفعل ما فعل إلا ليزيل من نفس شكري ما علق بها من غضب وضيق عليه من جرّاء ما كتبه عنه في الديوان من نقد لم يتحمله بسهولة شكري المتطير الحساس – وذلك على الرغم من أن شكري هو المعتدي لا المازني..

---

[١] عباس العقاد ناقداً ، لعبد الحي دياب ، ص ٧٠ ، ٨٧

[٢] محمود الخولي ، في مجلّة أبولو ، أبريل ١٩٣٣م ، ص ٩١٣ ، ٩١٥ .

[٣] رمزي مفتاح في سلسلة مقالات جمعها في كتاب سماها رسائل النقد ، عمر الدسوقي ، في (دراسات أدبيّة) ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

[٤] مصطفى السحرتي (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) ص ٥٧ وما بعدها .

ومن ثم فإن المازني حاول إرضاء شكري وكتب ما كتب، وبالإضافة إلى ذلك فإن المازني كان رجلاً جمّ التواضع ينكر نفسه في سبيل صاحبه. نحس ذلك في جلاء ووضوح من المقدمة التي كتبها لديوان العقاد والتي جاء فيها :

(وبعد فهل يصلح هذا الكلام أن يكون مقدمة لهذا الـــديوان؟ لا أدري ولـــيس ذنبي ألا يكون كذلك، فقد أردت شيئاً وأراد العقاد خلافه، وكان العزم أن أقول غير ما قلت وأن آخذ في نهج غير هذا النهج، فأبى على ما همت به وردني عما شرعت فيه وركب رأسه وأصر على أن أعدل ، فإذا كان فيما كتبت قصوراً أو تقصيراً فالذنب له وحده دوني وما كنت أبغي إلا أن أقول كلمة حق أبرئ بها ذمتي وأنصفه حتى مـــن نفسي فأباها علي واستنكرها مني كبراً أو تواضعاً أو حياءاً أو مجاملـــة. لا أدري !! وحسناً فعل أو شرّاً فعل فما بالعقاد في حاجة إلى إنصاف مني أو من سواي [١].

والذي علمته عن المقدمة التي أباها العقاد، أنها كانت تتضمن الإشارة بشاعرية العقاد واتهاماً بشاعرية المازني وشعري وأطرى العقاد إطراءاً جعل العقاد يقدم على رفض تلك المقدمة حياءاً منه وتواضعاً، ويشير عليه بكتابة غيرها وهي التي تتصدر الديوان ، ولكن المازني مع ذلك لم ينسَ أن يشير فيها أيضاً إلى المقدمة الأولى ويثبت عدم ارتياحه لذلك الرفض [٢] .

ومن ناحية أخرى فإن صاحب مكتبة "الأنجلـــو " يحجثنا عن المازني فيقول : (كان رحمه الله يمر كل أسبوع على مكتبته ويسأل عن الكتب التي اشـــتراها العقـــاد طيلة الأسبوع فيشتريها بالتالي) [٣]، وذلك يدل على ثقة المازني في العقاد من ناحيـــة وعلى حسن اختيار العقاد للكتب التي يصح أن يقرأها من ناحية أخرى.

---

[١] مقدمة ديوان العقاد للمازني ، ص ٦ .

[٢] من حديث خاص ، مع العقاد نقلاً من كتاب عباس العقاد ناقداً ، لعباس دياب ، ص ١٣٠ .

[٣] من حديث خاص مع صبحي جريس ، صاحب ومدير القسم الأوربي بمكتبة الأنجلوا ، نقلاً من كتاب عباس العقاد ناقداً ص ١٣٠ .

ونخلص من هذا كله إلى أن المازني، في حديثه عن شكري والعقاد، يتناسى نفسه، إذ يجعل من أحدهما أستاذاً عليه ويجعل شاعرية الآخر أنها ستؤدي بقيمة شاعريته وشعره، وفي اعتقادنا أن المازني لا يقل عنهما جهداً وجهاداً في سبيل إرساء هذه المدرسة، وإن كان طابعه السخرية وعدم الاكتراث بالخلود والشهرة، وشأنه في ذلك الفنان الواثق من نفسه وفنه، ولعله يقصد بالأستاذية السبق الزمني لشكري عليه في ميدان الإنتاج الأدبي لأنه طبع الجزء الأول من ديوانه عام ١٩٠٩، وأعتبره المازني هو يوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم [١] .

وفيما يختص بالخصومة بين المازني وشكري فإننا نعتقد أنها لم تكن سبباً في انزواء شكري وتحطيم قلمه، لأنه اعتدى أولاً فكان لا بد أن يكال بالكيل الذي كال به للمازني، لأنه ليس من السهل – كما يقول الأستاذ علي أدهم – على المازني أن يسكت على تشهير شكري به، لأن ما كتبه شكري في نقد المازني والعقاد لم يكن في المستوى اللائق بأدبه العالي وثقافته الممتازة، وواضح أنّ المازني في كتابته أراد أن يثأر لنفسه بعد أن أحتمل أشهراً استرسال شكري في نقده على صفحات "عكاظ" ولذلك لم يكن من المنتظر أن يكون نقد المازني لشكري نقداً موضوعياً قوامه البحث الهادي والتحليل الدقيق وتحري الإنصاف ونشدان الحقيقة [٢].

وعلى الرغم من ذلك فإنهما تبادلا التقدير بعضها لبعض منذ عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٤٧ (قبل وفاة المازني بعامين) عن طريق المقالات التي أشرنا إليها سلفاً ، وزار المازني شكري في الفيوم وزاره شكري في القاهرة عام ١٩٤٤م.

---

[١] راجع أخبار اليوم ، يوم ١٠/٢٥/ ١٩٤٥ .

[٢] المجلّة عدد فبراير ، ١٩٥٩م .

فالقول إذن بأن للخصومة أثراً كان في نتيجته انزواء شكري وتحطيم قلمه قول يعوزه الدليل، وليس أدل على ذلك من أن [1] الأستاذ نقولا يوسف تلميذ شكري قد رفضه أصالة، بدعوى أنه لا يرتكز على أدلة علمية صحيحة.

ولم يبق أمامنا من مبالغات الدارسين سوى ظلم المازني لشكري ولعلنا بعد أن وقفنا على حقيقة الموضوع وتطورها وما انتهت نستطيع أن نرجح عدم ظلم المازني لشكري، لأن شكري لم يكن إلا مستشيراً للمازني في بادي الأمر وطوال فترة الخصومة التي بلغت قرابة سبعة عشر عاماً، حتى تبادلا التقدير بعضهما لبعض في مقالاتهما التي سبق أن أشرنا إليها.

وخلاصة ما نراه في هذا الصدد:

أن المعركة بينهما كان شكري هو البادئ بإثارة غبارها وإيقاد نيرانها، وقد حورب فيها بذلك السلاح الذي شهره وكيل له بالكيل الذي كال به، ومن ثم لم يكن من حقه كإنسان سوى أن يشعر فيها بظلم وقع عليه وهو البادئ بالمنازلة والمقارعة، ولذا فإنها لم تكن سبباً في انطوائية شكري وعزلته، وإنما يرجع ذلك إلى دخيلة نفس شكري وإرادته وعزمه وتشاؤمه بمزاجه لا بتفكيره.

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكري ، نقولا يوسف ، ص ٩ .

الفصل السابع
قصة إحالته إلى المعاش

في سنة ١٩٣٨ طلب شكري إحالته إلى المعاش وأجيب إلى طلبه .

ولإحالة عبد الرحمن شكري إلى المعاش قصة .. بل مأساة .. وأرى من واجبي هنا أن أوجه أذهان المثقفين والمفكرين وضمائرهم في مصر وفى العالم العربي والإسلامي كله إلى هذه المأساة لا باعتبارها مأساة شكري وحده ، بل باعتبارها مأساة كل شاعر وكل مفكر يعتصر قلبه وعقله ، ويفني حياته في خدمة مجتمعه .. بينما يضن عليه مجتمعه (أو شرذمة جاهلة شريرة من مجتمعه ، شاء سوء خطه أن يكون مرؤوسا لهم) بالتقدير المادي والأدبي الذي يستحقه ...

ولا يمكن لأي مجتمع متقدم ، أو راغب في التقدم ، أن يستمع بأن تنكر مأساة عبد الرحمن شكري وأمثاله من المفكرين والشعراء قليلون في كل أمة ، بل قليلون في تاريخ الإنسانية .

ومن ثم فهي جريمة في حق الإنسانية ، وفى حق الحضارة ، إهمال هؤلاء المفكرين والشعراء وتضييعهم ...

ونترك عبد الرحمن شكري نفسه يحدثنا عن مأساته فيقول : كنت قد منحت الدرجة الثالثة سنة ١٩٣٥ ، وفي سنة ١٩٣٦ أخذت مني ، بدعوى أن الوزارة التي منحتني الدرجة كانت مستقبله عندما منحتني (إياها) ثم في سنة ١٩٣٧ أعيدت الدرجة لجميع .

من أخذت منهم ما عداي ، وكانت قد أعطيت لموظفين أحدث عهدا وأقل تعبا وكنت قد نقلت ناظرا للمدارس الثانوية من غير ترقية في الدرجة سنة ١٩٢٦ ، لأني كنت قد حصلت على الدرجة الرابعة في المدارس الابتدائية لقلمي ، ووعدت بالدرجة بعد سنة أو سنتين ، فمضت عشر سنوات ، فلمّا تخطيت الدرجة ثم حرمت منها

ضقت ذرعا ، وأنا كنت أكثر من غيري عملا ، وكنت ناظر مدرسة ثانوية نحو عشر سنوات ، في نحو خمس مدارس كانت من أوائل المدارس في الامتحانات . أرجو أن تسامحني فإن هذه المعاملة كانت من أسباب شللي ، وأرجو أن أنساها [١]

وفي الرسالة التالية يقول : " أرسلت لك أمس خطابا " وقد أوضحت لك كيف أني تعبت لمدة عشر سنوات في المدارس الثانويّة ، وكنت أجلب النتائج السارّة وتعبت لمدة ثلاث سنوات في التفتيش بدون فائدة لي ، لأني لم أكافأ على عملي ، إذ أنني حصلت على الدرجة الرابعة في المدارس الابتدائية ، وكنت واقفاً عند نهايتها ، وكان الموظفون يرقون قبل الحصول على نصف مربوطها ، وقبل التعب في نظارة المدارس الثانوية ، فضقت ذرعا ، بل كان بعض الموظفين بصفة استثنائية يحصل على الدرجة قبل أن يمضي أربع سنوات في أختها ، فطلبت الإحالة على المعاش ، وكنت قد نظمت قصيدة " أقوام بانوا " [٢] ، فغضب هؤلاء القوم ، وصاروا يحرضون علي ، لأنهم رأوا أني أصفهم ، ومن الغريب أنهم لم يقدروا أن يعاقبوني عليها ، ولو قدروا لما تأخروا ، هذه يا سيدي قصة خروجي على المعاش ، والكارثة التي انتابتني ، فخرجت بثمانية وعشرين جنيها ، وكانت لا تكفيني ولا تكفي أسرتي [٣] وكان المغفلون يقولون : عاوز ينهب ! ولماذا لم يقتلوا ذلك لغيري ؟ " [٤]

وفيما يلي نص الخطاب الرسمي (يناير ٢٣/ ٣ / ١٩٣٨ من وكيل وزارة المعارف بالموافقة على طلب شكري الإحالة إلى المعاش :

---

[١] كتاب عبد الرحمن شكري لـ(عبد الحميد غراب ص (٣٦ ـــــ ٣٧) .

[٢] نشرت هذه القصيدة في مجلة الرسالة بتاريخ ١٤/٢/ ١٩٣٨ ، ص ٢٦٩ ، والديوان ، لنقولا يوسف ص ٦٤٣ .

[٣] كان شكري يعول أسرة شقيقه بعد مرض ذلك الشقيق ثم وفاته ، وكان ذلك من الأسباب التي أدّت بشكري إلى أنْ يظل عازباً طوال حياته ، بالإضافة إلى ضعف صحته وضآلة دخله .

[٤] كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص ٣٨ .

حضرة المحترم عبد الرحمن شكري أفندي المفتش بالوزارة ، بما أنكم طلبتم إحالتكم إلى المعاش من ١٥ يونيه سنة ١٩٣٨ ، فأبلغكم أن الوزارة قد وافقت على هذا الطلب وإنني انتهز هذه الفرصة لأعرب لكم عن خالص الشكر لما قدمتم من الخدمات الجليلة للتعليم مدة خدمتكم بها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

وبهذا الخطاب الرسمي . البارد برودة الموت ...

خرج شكري إلى المعاش وهو في الثانية والخمسين من عمره ، أي قبل بلوغه السن القانونية لإحالته إلى المعاش بثماني سنوات ، وبعد كل " الخدمات الجليلة " التي قدمها شكري للتربية والتعليم طوال ستة وعشرين عاماً – كانت مكافأته هي حرمانه من الترقية ، ثم خروجه إلى المعاش بهذا المرتب التافه .

ومن المعروف أن الفترة التي وقع فيها هذا الظلم البشع على شكري كانت فترة قد اشتد فيها الصراع بين الأحزاب السياسية المصرية من أجل الوصول إلى الحكم ، ومن ثم شاعت المحسوبيات والاستثناءات خلال تلك الفترة ، فكان كل حزب بمجرد أن يصل إلى الحكم ــ يغدق التعيينات والترقيات والعلاوات على الأنصار والأصهار [١] ، ومن يجيدون التصفيق والهتاف والنفاق ...

ولم يكن عبد الرحمن شكري من هؤلاء ...

كان شكري رجلا أمينا مع نفسه ، ومع مجتمعه ، فبذل أقصى جهده في خدمة التربية والتعليم ، وفي خدمة الأدب والفكر ، وكان طبيعيا أن يتوقع المكافأة على جهده .

فلما وقع به الظلم ، وضع حقه بعد صبر طويل وعمل متواصل ، كان طبيعياً أيضا أن يصدم ويثور ... وكان الشعور بالصدمة مراً وعنيفاً بالنسبة له ... فانطوى على نفسه في "بورسعيد " واعتزل الناس ، وقلل من نشاطه الأدبي والفكري بضع سنين ، ثم عاود ذلك النشاط في الفترة مابين ١٩٤٧ ــ ١٩٥١ ، حيث نشر في مجلة

---

[١] راجع عبد الرحمن الرافعي : في أعقاب الثورة المصريّة ١/ ١٦٠ .

" المقتطف" مقالاته الأدبية الفلسفية القيمة : " نظرات في النفس والحياة " بتوقيع .ع. ش .

ثم انتهى أمره إلى يأس مطلق من عدالة الناس .. فأحرق جميع مالديه من نسخ مؤلفاته ودواوينه ، وأصيب بضغط الدم ثم بالشلل في شقه الأيمن سنة ١٩٥٢.

وفي يوم الاثنين ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٨ انتقل شكري إلى رحمة الله ، واستراح نهائيا من " ظلم الحياة ولؤمها " ..

الفصل الثامن
ثقافته ومؤلفاته

تحدثنا فيما سبق أن عبد الرحمن شكري تعلم في " الكتّاب " القراءة والكتابة ودرس وحفظ جزءاً من القرآن الكريم .

وفي المدرسة الابتدائية بدأ يتعلم اللغة العربية الفصحى على يد أستاذه الشيخ مصطفى ، وشكري لا يتذكر من تعليمه إلا أنه كان يلقى على التلاميذ أبيات الشعر ، كل تلميذ بيتا يكتبه على السبورة ثم يطلب منه إعرابه ، ومن زل في الإعراب هوى عليه بالعصا ، ويعلمه الإعراب الصحيح ، وكانت الأشعار في الغزل والنسيب " .

وهذه الطريقة بغضت إليه دروس اللغة العربية ، ولكن معاني الغزل والنسيب حببت إليه الشعر العربي [١] .

وفي المدرسة الثانوية كان أستاذه في اللغة العربية الشيخ عبد الحكيم خيرا من أستاذه السابق ، إذ كان حسن الاختيار والشرح لأبيات الشعر ، وقد ظل شكري إلى أخريات حياته يتذكر شرحه لأبيات لأبي العلاء المعري يصف فيها غديراً [٢] وكان هذا مما أغراه بالاستزادة من الإطلاع على عيون الشعر العربي القديم [٣].

---

[١] من كتاب عبد الرحمن شكري لعبد الحميد غراب ، ص ٤٥ .

[٢] أبيات المعرى هي :

تظن به ذوب اللجين فإن بدت ... له الشمس أجرت فوقه ذوب عسجد

تبيت النجوم الزهر في حجراته ... طوالع مثل اللّؤلؤ المتبدد

فأطمعن في أشباحهن سواقطا ... على الماء حتى كدن يلقطن باليد

فمدت إلى مثل السماء رقابها ... وعبت قليلاً بين نسر وفرقد

وهى من قصيدته التي مطلعها :

إليك تناهى كل فخر وسؤدد ... فأبل الليالي والأنام وجدد

انظر شرح سقط الزند القاهرة ١٩٤٥، ٣٥٠/١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢

[٣] كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص ٤٦ .

(كان الأستاذ شكري في مجالسه الخاصة محدثاً لبقاً ، شائق الحديث ، واسع المعرفة، وكان يزيد حديثه متعه أنه كان دائم الإطلاع ، سريع القراءة ، قوى الاستيعاب [1].

وكان لا يهتم بالشهرة والدعاية قدر اهتمامه بالهدوء والسلام .. وطالما نشر في القديم المقالات والقصائد بتوقيع ع . ش . أو بإمضاءات أخرى . وحدث أننا أدرنا عام ١٩٥٦ تكريمه لبلوغه السبعين فرفض كل أنواع من التكريم أو النشر ، وآثر السكينة والسلام . ثم وافق أخيرا على رغبة مجلة "العالم العربي " بالقاهرة ، والتي يرأس تحريرها الأستاذ أسعد حسنى ، في إصدار عدد خاص عنه في هذه الذكرى .. وصدر العدد ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ، وبه بعض الدراسات والذكريات عن الشاعر .. فلفت صدوره أنظار الكثيرين ، وكان منهم من نسيه ، ومنهم من الشباب من لم يكن يعرف عنه غير القليل ، لعزوفه عن الدعاية والضجيج .وراح بعض الأدباء والصحفيين يبحث عن بيته أو يكاتبه ، والرجل بطبيعته السمحة يستقبل كل زائر ، ويرد على كل رسالة أو بطاقة ، يكتبها بيده اليسرى .

وفي عام ١٩٥٨ ، قبيل وفاته ، طير بعض مراسلي الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم بالقاهرة " نبأ العثور على الشاعر " فحضر نفر من المحررين والمصورين لمقابلته وهو يحتضر ، ثم نسبوا إليه الأحاديث المختلفة والطرائف العجيبة ، كما نسبوا إليه كلمات لم يقلها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .

وفي الساعة الثانية بعد ظهر الاثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر إلى عالم الخلود ، بمنزله بسيدي بشر برمل الإسكندرية ، وتحققت أمنيته في الراحة والهدوء والسلام . كما تحققت آماله فلم يمت حتى شهد بلاده تنعم بالحرية والعزة والاستقلال .

ولقد كتب الكثير من الأدباء عن شكري ، شاعراً وكاتباً وناقداً ومعلماً ومصلحا ، كتبوا عنه شتى الفصول النقدية والتحليلية ، منذ أن أخرج ديوانه الأول

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكري ، لنقولا يوسف ، ص ٦ .

عام ١٩٠٩ ومابرحوا يكتبون عنه إلى الساعة .. ولو جمعت ما كتب عنه في هذه الأعوام الخمسين ، وما كتبه هو في الرد على ناقديه ومناقشة آرائهم ، لخرجت بكتاب كبير يزدحم بالمتناقضات ، وكثيراً ما كان يناقض ناقده نفسه . ولا عجيب في هذا ، فهو ككل عظيم من الناس تتضارب فيه الأقوال ، وتختلف وجهات النظر ، وتمدحه فئة .

وتقدح فيه أخرى ، ويطيب البعض أن يحوك حوله الطرائف والأساطير .. وأراد شكري أن يوفر على النقاد بعض الجهد ، فأخذ منذ الشباب الباكر ينشد فصول " الاعترافات " في الصحف ، ثم طبعها عام ١٩١٦ في كتاب .. كما راح يصحح بعض الآراء في عدة مقالات لم تزل مبعثرة في الصحف والمجلات ،إلى جانب الفصول التي تضمها كتبه الخمسة المطبوعة . ثم كانت مقدماته النثرية التي صدر بها أجزاء دواوينه الخمسة الأخيرة . شرح فيها رأيه في الشعر ومذهبه ، والشعراء وحقيقتهم [١]

ويقول في إحدى تلك المقدمات الموضحة :" لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها .وكل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله ، والشاعر أبلغ قصائده .

والشاعر هو الذي لا يعيش مثل أكثر الناس مقبورا في الأحوال التي تحوطه هو الذي يخلق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه ، ثم ينظر في أعماق الزمن آخذا بأطراف ما معنى وما يستقبل ، فيجيء شعره أبدياً مثل نظرته .. وهو الذي يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية في بيوت الأمراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزودا بالنغمات العذاب ، كي يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نورا ونارا [٢] .

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري ، لنقولا يوسف ، ص ١١ – ١٢ .

[٢] المرجع السابق ، ص ١٢ .

الفصل التاسع
مؤلفاته

(أ) دواوينه : شعر :

(نشرت كلها بالإسكندرية ، ماعدا الديوان الأول الذي نشر بالقاهرة سنة ١٩٠٩ م ثم أعيد طبعه بالإسكندرية سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م).

. الديوان الأول : أضواء الفجر ١٩٠٩
. الديوان الثاني : لآلي الأفكار ١٩١٣
. الديوان الثالث : أناشيد الصبا ١٩١٥
. الديوان الرابع : زهر الربيع ١٩١٦
. الديوان الخامس: الخطرات ١٩١٦
. الديوان السادس : الأفنان ١٩١٨
. الديوان السابع : أزهار الخريف ١٩١٩

الديوان الثامن : بدون عنوان . ويحتوى على مجموعة قصائده التي نشرت في الصحف والمجلات بعد سنة ١٩١٩ ولاسيما في الفترة بين ١٩٣٥ ـــ ١٩٣٩ . ولم ينشر هذا الديوان مستقبلاً ، وإنّما نشر مع الدواوين السبعة الأخرى في مجلد واحد تحت عنوان : ديوان عبد الرحمن شكري بتحقيق الأستاذ نقولا يوسف سنة ١٩٦٠ ، أي بعد وفاة شكري بسنتين . ويحتوى على قصيدتين نشدتا فيه لأول مرة وهما : "بهاء الحياة " و " حلم بالأندلس " ولعلها آخر ما نظم شكري من شعر [١] .

[١] كتاب عبد الرحمن شكري لعبد الرحمن غراب ، ص ٥٧ – ٥٨ .

ب مختاراته الشعرية:

عنوانها: (ذخيرة الذهب في المنتخب من شعر العرب).

و هي مخطوطة في مجلدين : المجلد الأول يحتوى على مختارات معظمها من شعر الغزل العذري ، و شعر التأملات والوجدان، و قد جمعها من كتاب الأغاني. و المجلد الثاني يحتوى على مختارات من شعر كبار الشعراء في العصر العباسي، وبعض شعراء الأندلس، وقد جمعها من دواوينهم- و المجلد الأول أكبر حجما من الثاني وقد قسم شكري مختاراته إلى هذين القسمين على أساس أن الأول يمثل شعر الطبع والوجدان ، بينما يمثل الثاني شعر الصنعة والديباجة (أو شعر الترف كما يسميه ، و يقصد به الشعر الذي عنى فيه(أصحابه) بالصناعة الشعرية، أي بالأسلوب و الديباجة و التشبيهات و الاستعارات) و قد أكثر في المجلدين ألاختيار الشعراء الذين يعجب بهم (و لا سيما الشريف الرضي و ابن الرومي) ، و الشعراء الذين قام بدراستهم بينما أقل من اختيار شعر المديح و شعر المناسبات بوجه عام . وقد جمع المختارات عقب عودته من انجلترا) [1].

(ج) كتبه النثرية :[2]

(نشرت كلها بالإسكندرية)

١/ الاعترافات : ١٩١٦

٢/ الثمرات : ١٩١٦

٣/ حديث إبليس : ١٩١٦

٤/ الصحائف : ١٩١٨

٥/ الحلاق المجنون : ١٩١٩

---

[1] رسائل شكري بتاريخ ١٥ ، ١٦ مايو، و٢ يونيو سنة ١٩٥٦م ، وفصول من نشأتي الأدبيّة ، المقنطف ، ص ١٧٥ .

[2] كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص ٥٨ – ٥٩ .

"د" مقالاتة : [1]

نشر شكري مقالات كثيرة في موضوعات متنوعة من أهمها ما يلي:

١- دراسات أدبية و نقدية : تناول كبار الشعراء العباسيين (الشريف الرضي وابن الرومي وأبو تمام والبحتري مهيار وأبو نواس و المتنبي والمعرى).و الصراع بين القديم و الجديد في الأدب العربي ، وبعض أنواع الشعر العربي(الغزل والرثاء) وقد نشر معظم هذه المقالات في مجلة الرسالة ، و بعضها في المقتطف ، بين ١٩٣٥_١٩٣٩.

٢- دراسات أخلاقية : تعالج بعض الرذائل و آثارها في المجتمع و التاريخ ، نشر معظمها في الرسالة بين ١٩٣٥ – ١٩٣٩.

٣- تأملات كبار الأدباء و المفكرين الأروبيين في موضوع النفس والحياة – نشرت تحت عنوان : (نظرات في النفس والحياة) بمجلة المقتطف بين أغسطس ١٩٤٠وسبتمبر ١٩٥١.

٤- موضوعات إسلاميّة نشرة بـــ(الرسالة) بين ١٩٣٥ – ١٩٣٩ .

٥- ذكرياته : تتناول نشأته الأدبية ، وعملة في التعليم . نشرت الأول تحت عنوان : (فصول من نشأتي الأدبية) بمجلة المقتطف أعداد مايو و يونيه يوليو ١٩٣٩، ونشرت الثانية تحت عنوان : (ذكريات سني التعليم) بمجلة الرسالة،عددي ٧/٢٤/ ، و٨/٧/ ١٩٣٩م .

"هـــ" رسائله الشخصية لعبد الحميد غراب : ويقول : (بين سنة ١٩٥٥ و١٩٥٧ وهى مخطوطة لم تنشر) .

---

[1] كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص ٦٠ – ٦١ .

الباب الثاني

حالة الشعر في عصر شكري ، وموضوعاته

الفصل الأول : حالة الشعر العربي في عصره .

الفصل الثاني : تعريف الموضوعات العالقة بفكره ، وتناولها في كل ديوان

الفصل الأوّل
حالة الشعر في عصر شكري

من المعروف أن الشعر العربي قبل البارودي كان قد انحدر إلى مجرد نظم غث ، خلا من كل فكرة نبيلة ، ومن كل عاطفة صادقة و أصبح لا يقصد به غير الوزن ، الاستكثار من محسنات الصنعة ، فملؤه بالتورية والكناية والجناس وجعلوا كلها كأنها شواهد نظموها ليزينوا بها كتب البيان و البديع ،و ظهر في الشعر التطريز التصحيف والتشطير و التخميس (والتاريخ) ، و راح الشعراء يتبارون في اللعب بالألفاظ و جمعها ، كما يتبارى الأطفال في جمع الحصى الملون وتنضيده .

وكان الشاعر منهم يلاحق البيت بالبيت ، أو يشبك المصراع بالمصراع ويخلط في كلامه بكلام غيرة ، و هو لا يحسب أنه يخل بروح الشعر لأنة يلتزم حرف الروي في كل بيت ، وعروض البحر في كل قصيدة [١].

وجاء البارودي فأنقذ الشعر العربي من هذه المحنة ، وارتد به إلى أصولة العريقة ، و إلى ينابيعه الصافية في عصور ازدهاره ولا سيما في العصر العباسي . وبالرغم من محاكاة البارودي لكبار الشعراء الأقدمين في الديباجة و الموسيقى (و أحياناً في المعاني) فقد احتفظ بشخصيته و أصالته الشعرية ، بصدق وقوة – نفسه الطموح ، آلامه و آماله ، كما صور التجارب السياسية الدامية التي لعب فيها دورا فعالاً ، و لا سيما تجربة الثورة العرابية ، و وصف المعارك الحربية الطاحنة التي اشترك فيها مع جيوش العثمانيين خارج مصر، كما

---

[١] من كتاب عبد الرحمن شكري لعبد الحميد غراب ص٦٦ و النص للأستاذ العقاد ، وقد نقلة من كتاب الدكتور مختارات في الشعر المعرب بعد شوقي .

وصف الريف المصري و تغنى بجمالة.و لذلك يعد البارودي بحق إمام المجـــددين في الشعر العربي الحديث [١].

وبعد البارودي يأتي شوقي على رأس الشعراء المصريين الـــذين نهجـــوا النهج التقليدي المحافظ في الشعر العربي الحديث ، ومنهم : حافظ ، وصـــبري ، وعبد المطلب ، والجارم ، وأمثالهم ممّن يعد شعرهم امتداداً للتقاليد الموروثة فـــي الشعـــر العربي القديم ، لا من حيث الشكل فحسب ، بل من حيث المضمون كذلك و هن موضع الفرق بينهم و بين البارودي بالرغم من تتلمذهم علية و تأثرهم بـــه فهؤلاء الذين– تتلمذوا على البارودي لم يحاكوه في نبـــل أغراضـــه ، و صـــدق عاطفته و جمال تصويره لبيئته . فقد كان البارودي صادقا حين يصـــف الريـــف المصري ، وما فيه من مناظر وزرع نظير ، وهدوء وشمس ضاحية ، و ظـــل و ريف ، وحين يرثي أحياءه و أقاربه و أصدقائه ويصف بطولته و شجاعته فـــي ميادين القتال ويصف بجانب هذا الميدان وطبيعته وأحوالهم، وحين يعبر عن ميوله السياسية و ما قاساه أعمال الثروة من اغتراب ومحنة ، وحنـــين إلـــى الأهـــل و الوطن . و لم يمدح البارودي إلا نادراً، ولم يرثِ إلا صديقاً أو حبيبـــاً . وعلـــى العكس منه نرى هؤلاء الذين نهجوا نهجه في الأسلوب ، اغترفوا من تلك الينابيع العربية التي وردوها، نراهم مداحين هجائيين، ندابين لكل عظيم [٢] .

صحيح أن هؤلاء الشعراء قد عبّروا عن مشاعر الشعوب العربية والإسلامية بوجه عام، و عن مشاعر القومية المصرية بوجه خاص، و لكنهم كانوا يعبـــرون عن هذه المشاعر غالبا في وجهة نظر الطبقة الحاكمة في مصر (وأحيانـــا فـــي إنجلترا١٠٠٠) أو على الأقل يعبرون عن هذه المشاعر إذا أمنوا سخط هذه الطبقة عليهم، و تنكيلها بهم . ولذلك نجد شعر شوقي – زعيم هذا الاتجاه – وشعر حافظ

---

[١] عن البارودي ، راجع شوقي ضيف : البارودي رائد الشعر الحديث و عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ، الجزء الأول الفصل الرابع .

[٢] عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ٢٦/٢ .

(بدرجة أقل) خاصاً بالمدائح و المراثي و التهاني لأفراد تلك الطبقة و من يمثلونها من الملوك و الأمراء و الحكام [١].

و قد يصاب الشعراء أحياناً بحمة التجديد، فينظمون شعرا في بعض الحوادث اليومية والكوارث (الحرائق والزلازل) ، أو في تشجيع المشروعات الوطنيـــة أو وصف الألعاب الرياضية أو المخترعات الحديثة ، أو في موضـــوعات الأخبـــار السياسية و الاجتماعية التي تنشرها الصحف ، و يحسبون أنهم قد أتوا في ذلك كله بجديد !

" و قد أصبح الشعر يفضل (هؤلاء) الشعراء وكسلهم العقلي فناً عرضياً لا يحفل به إلاّ للهو والزينة والزخرف فإذا به أراد بنك مصر أنْ يفتتح بنائه الجديد طلب إلى شوقي قصيدة فنظم شوقي هذه القصـــيدة . و إذا أرادت دار العلـــوم أنْ تحتفل بعيدها الخمسين كما يقولون طلبت إلى شوقي والجارم و عبد المطلب أن ينظموا لها القصائد ، إذا مات عظيم و أريد الاحتفال بتأبينه، نبـــه نابـــه وأريـــد الاحتفال بتكريمه ، طلب إلى الشعراء أنْ ينظموا الشعر فـــي المـــدح والرثـــاء ، فنظموه كما كان ينظموه القدماء . وانحط الشعر حتى أصبح كهذه الكراس الجميلة المزخرفة التي تتخذ في الحفلات و المأتم ، و أصبحنا لا نتصـــور حفلـــة بغيـــر قصيدة لشوقي أو حافظ كما أننا لا نتصور عيداً أو مأتما بغيـــر مغـــنٍ أو مرتـــل للقـــرآن . فأما الشعر الذي يقال لنفسه ، والذي يقال ليحلو مظهراً مـــن مظـــاهر الجمال الطبيعي ، و الذي يقال لنفسه ، والذي يقال ليكون صلة بنفســـية الشـــاعر ونفوس القراء ، والذي يقال لنفسه ، و الذي ليتملق عاطفة من العواطف أو هوى من الأهواء – فلا تلتمسه عندنا ، و لكن التمسته عنـــد قـــوم آخـــرين ، عـــرف شعراؤهم لأنفسهم كرامتها، فربئوا بها عن أن تكون أداة للهو والزينة " [٢].

هذه هي حالة الشعر العربي في عصر عبد الرحمن شكري عندما ظهر في مصر .

---

[١] راجع أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر ، ص ١١٦ ، وما بعدها . ، وعمر الدسوقي في الأدب الحديث ، في الجزء الثاني ، الفصل الخامس .

[٢] طه حسين :"حافظ و شوقي "ص ١٤٩-١٥٠.

وكان لشكري موقف خاص إزاء هذا النوع من الشعر (شعر المناسبات) و ما يتصل به من مفاهيم تقليدية متحجرة ، هو موقف الرفض بل الاحتقار. و لقد واتخذ شكري هذا الموقف منذ مطلع حياته الأدبية ،

وإذا تتبعنا دواوينه التي أصدراها و بداية من ديوانه الأول الذي صدر سنة ١٩٠٩. لا نجد مديحاً أو رثاء، اللهم إلا مديحا لبعض أصـــدقائه ، وزملائـــه ، و رثاء لبعض الزعماء والمصلحين (أمثال مصطفى كامل ، ومحمد عبده ، وقاســـم أمين) الذين لم تكن تربطهم بشكري أية رابطة إلا رابطة الوطنية .

وقد تمسك الشاعر بهذه الخطة ، بل ازداد صرامة في التمسك بها – فـــي دواوينه لأخرى كلها.

الفصل الثاني

تعريف الموضوعات العالقة بفكره وتناولها في كل ديوان

أعلن شكري رفضه للموضوعات التقليدية ، المطروقة في الشعر العربي القديم ، كبكاء الديار والوقوف على الأطلال ، كما يعلن رفضه أن يقول شعراً في أخبار السياسة، وذلك لسبب خلقي ، وهو ما كان يحيط بالسياسة والسياسيين في ذلك الزمان (ربما في كل زمان) من ألوان الخداع والكذب وقول الزور ، ويعلن كذلك أن نظم الشعر في وصف المخترعات الحديثة ، وشكوى الزمان إنما هو ابتذال للشعر ، بل إن كل تلك الأغراض التي استهلكها شعراء المناسبات في عصره إنما هو انحطاط بالشعر والشاعر جميعاً . أما المفهوم الجديد للشعر عنده فهو أنّ للشعر عناصر من أهمها التصوير ، الخيال ، العاطفة (أو الإحساس بما خفقت له القلوب) ، والفكرة (أو المعنى العميق الذي يروع الفهم) ، أما مفهوم (التذكرة فمفهوم غامض أنّ للشعر رسالة خلقية) وليس معنى هذا أن الشاعر في رأيه واعظ ، فهذا أبعد ما يكون عن رأيه ، بل معناه أن رسالة الشاعر أن ينبه الناس إلى نقائصهم ، وشرور أنفسهم ، وذلك بطريقة الفنان المهتم بالجانب المظلم من النفس البشرية .

فإنّ شاعراً رائداً ولد سنة ١٨٨٦ في بورسعيد ، وراح يتلقى تعاليمه الأولى بالإسكندريّة ، وبالقاهرة من بعد قد أطلّ على ثقافتنا الحديثة بشيء جديد يختلف عن هؤلاء الرواد الإحيائيين والتقليديين والرومانسيين ، ألا وهو عبد الرحمن شكري المصري الجنسيّة ، المغربي الأصل .

وكان والده يعمل في وظيفة إدارية كبيرة ووجد مكتبة تفيض بدواوين الشعراء الكبار أمثال : (ابن الفارض ، والبهاء زهير ، والمتنبئ) وغيرهم ، كما وجد فيها بعض المرافق الأدبيّة الفرنسيّة ،غير أنّ رحلة الشاعر تبدأ مع اللغة الإنجليزيّة والأدب الإنجليزي ، منذ أن كان طالباً في المرحلة الثانويّة ، يطالع بعض قصائد الرومانسيين الكبار ، ويتسع أفقه وتزداد ثقافته الأجنبيّة ، وتلقيه دراسة الأدب واللغة الإنجليزيّة والتاريخ بكليات المعلمين في الفترة ما بين ١٩٠٦

– ١٩٠٩ ، ففي هذه السنوات الثلاثة وجد الشاعر فرصة في التعرّف على الأدباء الإنجليز وفي كتاب (الذخيرة الذهبية خاصة) قرأ الشعر الإنجليزي منذ شكسبير في عصره المعروف ، وحتى كبار الرومانسيين أمثال (شيلي ، ورلد زورث) وغيرهما من شعراء القصر .

وتخرّج شكري في كليات المعلمين وتعرّف على قسط كبير من الثقافة الغربيّة ، إلى جانب ما قرأه واطّلع عليه من ثقافته العربيّة ، وما عرف من إكبابه عليه من دواوين الشعر العربي الكبيرة ، فضلاً عن قراءته لكتاب (الوسيلة الأدبية) للشيخ أحمد حسين المرصفي .

ومن هذا كله نتجت ذخيرته الشعرية في دواوينه الثمانية والتي نشرت جميعها في الإسكندريّة ، ما عدا الديوان الأول .

وإليك تناول كل ديوان على حدة :

الديوان الأول
ضوء الفجر (١٩٠٩م)

يعد ديوان ضوء الفجر علامة جديدة في تاريخ شعرنا العربي فمهما اختلفنا مع الشاعر في الأداء وفي بعض التفاصيل الخاصة بلغة الديوان ، كما سيتبيّن من بعد ، فإنّ قيمة هذا الديوان تبدو في أنّه أول ديوان عربي في شعرنا الحديث يأتي في مطلع القرن العشرين يعبّر عن ذاتية الشاعر وعن جوانب متنوعة من رؤيته وعن انعكاسات نفسيته التي راح يعبّر عنها في قصائده ، وعن استبطانه لها في منهجه الأثير منهج استبطان الذات الذي تميّز به . وقبل شكري كثيراً ما كان يدور الشعر في دائرة المناسبات ، وزلفى الحكام (من حيث المضمون) وأمّا من حيث الشكل فكثيراً ما كان الشعر يرسف في قيود التكلّف ، وقد نختلف مع الشاعر في تفاصيل هذا الديوان ، وفي هذه اللغة التي استعملها في قصائده ، والتي لنا وقفة معها من بعد . ولكننا لا نختلف في أهميّة هذا الديوان الذي يصفه النقّاد أنّه ديوان كامل الذاتية ، يعبر بصدق عن نفس صاحبه على نحو جديد ، وخلال معالجة جديدة لا عهد للتقليديين بها .

فلا نجد في ديوانه الأول (ضوء الفجر) الذي صدر سنة ١٩٠٩ مديحاً أو رثاءاً ، اللهم إلاّ مديحاً لبعض أصدقائه وزملائه ورثاء لبعض الزعماء والمصلحين (أمثال مصطفى كامل ومحمد عبده وقاسم أمين) الذين لم تكن تربطهم بشكري أية رابطة إلاّ رابطة الوطنيّة . وقد تمسّك الشاعر بهذه الخطّة ، بل ازداد صرامة في التمسّك بها ، في الدواوين الأخرى كلّها [١] .

وفي هذا الديوان نجد مقطوعة تحت عنوان (شكوى من بني قومي) [٢] وفيها ينعي على المصريين خمولهم وجمودهم فيقول :

قد أداروا من الخمول عقارا واستباحوا من الذّهول وقارا
واستكانوا فأنفذ الدّهر فيهم حكمه واستردّ ما قد أعارا

---

[١] كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص ٦٩ – ٧٠ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٨٣ .

سلك العجز فيهم مسلك العز م فظلّوا يرون في المجد عارا
ليتني متّ قبل أن أنكر العيـ ـش ولكنني فقدت الخيارا

ومن رثائه للزعماء الوطنيين مثل رثائه لمصطفى كامل حيث يقول :

نفد العمر على طوال الليـالي واستباح الموت ذكرا غير بالي
ومجال الدّهـر في أحـواله الحق التالبين منّـا بالأوالي
يا ضلوعاً دونها حـر الجوى أصبح السلوان بعد الدمع غالي
فاجزعي يا نفس أو لا تجزعي ما بقـاء المـرء إلاّ للزوال .

ونقرأ له في ديوانه هذا قصيدة تحت عنوان : (خطرات في المساء) ، وهو يتحدث لنا فيها عن حزنه تأسيه وندمه على الأيام التي تمر من عمـر الإنسـان : لأنّ الإنسان إذا استيقظ استيقظت آماله ، وانفتحت أبواب حيله ، وانبعثت مساعيه فإذا أمسى كان قد صادق من الحوادث ما ينم آماله . وإذا كنا نبكي علـى الميـت لفراقه ، فكيف لا نحزن على يوم مضى حيث يقول [1]:

نحن نبكي كل ميت راحـل كيف لا نأسى على يوم مضى
أشباب لك مرجـو الضحـى أم مشيب لك معزول المسا
أنت في حاليك كأس من بهاءٍ خالب الأنحاء محمود الـروا
رحم أنت لما تـأتي بـه أم ضريح للذي مـرّ بنا
يا حليف الحدث المقدور ما فعل الحظّ بمخلـوف المنى

ويختم عبد الرحمن شكري هذا الديوان بقصيدة طويلة من الشعر المرسـل عنوانها (كلمات العواطف) [2] قدّم لها في الطبعة الثانية للديوان في مقدمة موجزة قرر فيها أن يشرح في القصيدة ما يحزنه من أمر الحياة ، ومواقع هذه الأمور من عواطفه ، ويطمح إلى حياة أكمل من هذه الحياة ، وأسعد حالاً ، وأكثر إنصـافاً ، وفي هذه القصيدة يأسى على بني قومه لأنّ الذلّ (ذلّ التخلف والاحـتلال) يعيـث

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكري ، لنقولا يوسف ، ص ٢١ .

[2] المرجع السابق ، ص ٨٥ .

فيهم كما يعيث الذئب في الغنم النائمة ، وقد أصبح الكريم بينهم مهاناً واللّئيم مكرماً بينما تعصف بهم ريح العداوة والبغضاء ، إذ يقول :

يعيث الذلّ في أبناء قومي كعيث الذئب في الغنم النيامِ

أبيّ القلـــب بينهم ذليـــل ووغد القلب مرفوع العماد

يفرّقنا التباغض والتعادي كنثر الريح أوراق الغصون

الديوان الثاني
لآلئ الأفكار

وفي المقدمة التي كتبها العقاد لديوان المازني الأول الذي صدر عام ١٩١٣ وهي السنة التي أصدر فيها شكري ديوانه الثاني ، نجد وصفاً دقيقاً للعصر ، ولأخلاق (رجل العصر) كيف يتألم الشاعر ذو الخيال والإحساس المرهف من الفساد الخلقي أكثر من غيره ، فالعصر (طبيعته القلق والتردد بين ماضي عتيق ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون وبين ما هو كائن ، فغشيتهم الغاشية ، ووجد كل ذي نظر فيما حوله عالماً غير الذي صورته لنفسه حداثة العصر ، وتقدّمه ، والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالاً ، فالمثل الأعلى أرفع في ذهنه منه في أذهان عامة الناس . وهو ألطفهم حسباً وألمه أشدّ من ألمهم ، وإنما يكون الألم على قدر البون بين المنظر وبين ماهو كائن ، فلا جرم أن كان الشاعر أفطن الناس إلى النقص وأكثرهم سخطاً عليه ، ولا جرم أن كان على حدّ قوله :

كل بيت في قرارته جثّة خرساء مرنان
خارجاً من قلب صاحبه مثلما يزفر بتركان

أمّا أخلاق رجل العصر فهي أنّه (يتلقاك بالطلاقة والبشر وفي قلبه قطوف العداء والنفاق والعجز والدناءة والذلّة والإسفاف والكبرياء والفسق ، والغباء والوقاحة .. وأي رجل العصر أن يكون غير ذلك ، وهو يبصر غير ما يسمع ، ويسمع غير ما يعتقد غير ما يجرؤ على الجهريّة ، وذلك ديدن الناس في أزمنة الانتقال) [١].

وكما نراه (عبد الرحمن شكري) في هذا الديوان يسخر من حوادث عصره ويقول إنها : (أطربته) .. ولذلك سوف يتعلم أن يرقص على نغماتها رقصة يسميها (رقصة اليأس) في قصيدة تحت عنوان ثورة النفس ، حيث يقول :

---

[١] ديوان المازني ، المقدمة ، ص ن . نقلاً من كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص ٧٩ – ٨٠ .

سأبــذل جهــدي في تعلّــم رقصــة لأرقصها . إن الحوادث تطرب
فيا نفس قومي فارقصي في جوانحي كما رقص المجنون يهذي ويلعب
فلا تعــتــزلوني إن لليــأس رقصةً تعلّمها المحزون من نشوة الأسى
وللنفس آهات من اليــأس والجــوى تحقر آهات الأناشيــد والهوى [1]

ونلاحظ في ديوانه الثاني هذا قصيدة والخطاب فيها موجّــه إلــى زميلــه الأديب إبراهيم عبد القادر المازني تحت عنوان (إلى صديقي) [2] :

أإبراهيم قد طال اغتــرابي فهلا كان عندك بعض ما بي ؟
عليل النفس في بلد قــريب يــؤرّقه التذكــر والتصابي
عهدتك مــرّة تبغي إخــائي وأنت اليوم توغل في اجتنابي
أراك على اغترابي ذا ابتعادٍ وكنت على اغترابي ذا اغتراب
فلولا منزل لك في فــؤادي لأنسانيك هجــرك ارتيــابي .

---

[1] ديوانه ، ص ١٦٩ .

[2] ديوانه ، ص ١٧٩ .

الديوان الثالث
أناشيد الصبا

في طبعته الأولى عام ١٩١٥م هذا اليوم نجد أن الشاعر قد بدأ ديوانه هذا بهذه الأبيات[١] :

وما الشعرُ إلا القلب هاجَ وجيبه وما الشعرُ إلا أن يشيرَ مشير
وللريح هباتُ وللنفسِ مثلها تغني رخاءً فيهما ودبورُ

ففي هذا الديوان يشتد سخط الشاعر على قومه المصريين لما انحدروا إليه من تخلف حضاري، ولما شاع بينهم من فساد خلقي. ولعل سخطه يتمثل بأعنف صورة في قصيدة "صوت النذير"[٢]حيث يقول:

خل الهوينا فهذا أمرنا جلل لا اليأس فينا بمحمود ولا الأمل[٣]
ولاح لي بيننا في عيشنا ظُلَم فأنظر بعينك أي الأمر مقتبل
بواد يعرفُ التاريخ فعلتها تدعو إلى الموت لاشك ولا جدل[٤]
كم أمةٍ هلكت من قبل ما عرفت أن الهلاك إليها عامد عجل
تعلل النفسَ بالأحلام تنظرها والملك حّم ويخفي سيره المهَل[٥]

ولكن الشاعر يعلن أن هجاءه لقومه إنما هو هجاء من يحبهم ويبكي على ما آل إليه أمرهم :

إذا هجوت فما أهجوكم أبدا * إلا ودمٌع على الخدَّين ينملُ
أنتم أحق بتأبينٍ ومرثيةٍ * والرُّزْءَ بالحيِّ جرحٌ ليس يندملُ
أنتم علي وإن طالت مهانتكم * أعزٌ ذي قدمٍ يسعى ويتنعلُ

---

[١] من كتاب عبد الرحمن شكري د/ عبد الحميد غراب ص ٢٠٧

[٢] ديوان عبد الرحمن ، نقولا يوسف ، ص ٢٧٧

[٣] لان بأسنا ضعف وأملنا طيش أما الأقوياء فإن أملم قوة وبأسهم قوة

[٤] أي أن صفاتنا صفات الأمم البائدة وهي في دور الفناء

[٥] لأن هذه الأحلام مخدر بخدر أعصاب الأمم

ويرجع إلى التاريخ فيرى أن عوامل تخلفهم وانحطاطهم ترجع إلى قــرون الاستبداد الطويلة التي مروا بها والتي خلفت في نفوسهم هذا الميراث المتراكم من الفساد:[١]

لقد ورثْنــاَ قرونــاً كلهــا كمَــدٌ * مورٍ على القلب مثل النار يشتعلُ
فنحصد الشــوكَ ممــا ذرّ أولنــا * إنَّا ورثنا عن الأسلاف ما فعلــوا
فمن خمولٍ ومن جهلٍ ومن كسلٍ * وأعظم الخطب ما يأتي به الكسلَ

ثم يرسم لهم طريق التقدم ، وهو نفس الطريق الــذي ســلكه الأوربيــون فتقدموا، أي الأخذ بالعلوم الحديثة ولاسيما العلوم العملية منها، وهي العلوم التــي يفيد تطبيقا في تطوير الأمم وتقدمها. ولكنه في نفس الوقت يدعو إلى الحفاظ على شخصيتنا، وعلى مقوماتنا الثقافية، ولاسيما اللغة:

حيث يقول:

وإنما لغةُ الأقــوام ميـــــزتهــم * فإن تولت فمجدُ للقوم مرتحل[٢]

ولا يقتصر سخط الشاعر في هذا الديوان على المصريين بل يتجاوزهم إلى الناس قاطبة. فنراه في قصيدة "طبع الإنسان"[٣] يصور الناس جميعاً قطعانــا مــن الغنم، وحيوانات ضارية، نهمة ، تتستر بالعلم والحكمة:

حدث الدهــر حديثــاً صادقا * إنما الناس قطيعٌ من عنــمْ
وصفات الــذئب طبــعٌ فيهم * وصفات القرد والكلب النهم
أين فخــر الناس بالعلم ومــا * يردع الأهواء من خير الحكم؟
يبســط العلم عليهــم جلــد * بضة الملمس تخفي مــن نقم
جلدة السخل بها بالذئب ارتــدى * فإذا ما غفل الــراعي هجــم
وإذا مــا أقتــدر المــرء ســطا * وإذا ما ضعف المرء حلــم

---

[١] عبد الرحمن شكري د/ عبد الحميد غراب ص ٩١

[٢] المرجع السابق ، ص ٩٢ ومن ديوان عبد الرحمن شكري لـــ "تقولا يوسف" المعنى/ إذا ضاعت لغة عنصر إنعدم في العناصر الأخرى.

[٣] عبد الرحمن شكري لـــ "عبد الحميد عزب" ، ص ٩٢

وفي قصيدة "مرآة الضمائر" يسخر شكري من فكرة الضـــمير الإنســـاني . يبين أنها خدعة ، وذلك لأن ضمير كل إنسان يشبه طبعه ، فضمير اللئـــيم لئـــيم، وضمير المخادع مخادع، وهكذا ... والضمير الصادق ــ إن وجد ــ يشبه المرآة الصادقة التي تخبر الناس عن قبائحهم النفسية، كما تخبر الوجوه عـــن الســـرائر. وأي الناس أن يحتملوا وجود مثل هذه المرآة . لا بد أن يحطموهـــا ... ويمضـــي فيبين أن الضمير آلة للخداع والتضليل في أيدي الناس، فعـــن طريقـــة يلتمســـون المعاذير لتبرير جرائمهم ... ثم يعرض علينا صوراً محزنة للرذائل التي يحـــاول الناس إخفاءها بألوان شتى من النفاق . وينتهي إلى أن جميـــع تصـــرفات النـــاس تخفي وراءها دوافع خبيثة من الجشع والأثرة ، وحتى طلاقة الوجه والمجـــاملات الاجتماعية يقصدون من ورائها المنفعة ، بل وحتى الدين نفس قد اتخذوها وســـيلة للتجارة والتكسب. ومن ثم ينقلب كل فضائلهم إلـــى رذائـــل لأنهـــم لا يمارســـون الفضيلة لذاتها ، بل لما تجلب لهم من نفع مادي.

إذ نذكر بعض أبيات من هذه القصيدة حيث يقول:[1]

إذا لاح يوما شكلُ وجهـــك فوقهـــا تبيت على ذعر وتصحو على ذعر
ترى فوقها ما بت تخفيـــه جاهـــدا من السوء والأحقاد واللوم والشـــر
يرى الناس فيها أوجهاً كلهـــا خنـــاً يلوح كما تبدو الجماجم فـــي القبـــر
وفي كل وجهٍ لـــو فطنـــت إشـــارة تدل على ما في الضمير من الشـــر
وفي كل وجه من جنون ومـــن أذى ملامح لا تخفـــى تناديـــك بـــالجهر

ونراه في قصيدة غزلية كقصيدة "بين الحقيقة والخيال"[2] نراه ينتقل فجـــأة مناجاة الحبيب إلى وصف الناس جميعاً بأنهم قرود وحمير، بل شر مـــن القـــرود والحمير:

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكري لـــ نقولا يوسف ص ٢٣٥

[2] ديوان عبد الرحمن الشكري، د/ نقولا يوسف، ص ٢٤٤

ولا تحسبنَّ الناس ناساً فإنهم * قرودٌ إذا كشفتهم وحميرُ

وأكثر ما قالوه صدقاً وحكمةً * نعيق إذا بينته ونعيرُ

وآذانهم مثل الحمير طويلة * وذيلهم لا كالقرود قصير

الديوان الرابع

زهـر الربيع

زهر الربيع هو الديوان الرابع لشاعرنا عبد الرحمن شكري والذي نشـره بالإسكندرية سنة ١٩١٦م[١] .

إنمـــا الشـــعرُ نعمـــةٌ * كحنـــين المزامـــر

يرفـــع الـــنفسَ ســـحره * عـــن وهـــادِ الحقـــائرِ

يُبلـــغ الـــنفس أفقهـــا * كجنـــاح لطـــائرِ

يفـــتح الـــنفس ضـــوءه * مثـــل ضـــوء التباشـــرِ

وكما أوضحنا أنه لا يخلو ديوان من دواوين عبد الرحمن شكري ولاسـيما الدواوين الستة التالية للديوان الثاني ــ من سخط على العصـر وعلـى أخـلاق العصر، ومن نقد مر لقومه المصريين ، بل وتصوير مفزع لشرور الناس جميعـاً ولقبح نفوسهم وفساد سرائرهم. ولكننا سنرى أنه بالرغم من حدة الشاعر وقسـوته فإنه في الحقيقة يريد الخير لمواطنيه والناس جميعاً، وأن مرارة نقده إنما تنبع فـي الواقع من رغبته الصادقة في تقدمهم ، ومن روحه المثالية التـي تنشـد الخيـر والجمال، ولا تجد في عالم الواقع إلا القبح والشر.

ففي قصيدة "عبث الشكوى"[٢] يحاول الشاعر أن يكفكف حدة شكواه مـن الحيـاة والناس. وهي قصيدة تتميز بالبساطة والصدق والجمال.

ويرى أنه بالغ في قدر نفسه، كما بالغ في الحط من عقول الناس وأخلاقهم، ويئس من وجود الفضيلة بينهم. وعلى أية حال فهو لن يستطيع أن يغير من واقـع الحياة، أو من واقع الناس شيئا، فشكواه عبث ومحال: حيث يقول:

يا صاحب العقل يقضي العيشَ في حزَن * يشقى بك الناس أم تشقى من الناسِ

وتحسب النـاس بُهمـاً لا عقـولَ لهـا * وأنـت فـيهم كمصـباح ونبـراس

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري ، لنقولا يوسف ، ص٢٨٥

[٢] المرجع السابق ، ص ٣٠٠

وأنتَ في الناس قطــر ضــاع خــاطره * في لجــةِ الــيمِّ لا راوٍ ولا حاســي
وما أحســوا بهــم مــن حاجــة لهــم * إليك ، كــلا ولا جــاءوا بمقيــاس
ملائـــــك الله إن أرضـــــوك بيـــــنهم * وإن غضبت فهم من نسل نســناس!

بل نراه في قصيدة "وا رحمة للناس"[١] ينفذ ببصيرته إلى أعمــاق الــنفس البشرية ــ ولاسيما نفسه هو ــ فيدرك ضعف الإنسان ، ويمتلئ قلبه رحمة للناس.

وحتى الأشرار يصبحون أولى بــالعطف مــنهم بالنقــد، لأنهــم معــذبون بشرورهم. ولكن الشاعر المفكر يعود فيرثي للناس أنهم يفنون حياتهم في ســبات محموم على القوت ، ويبيعون نفوسهم في سبيل نعمة العيش ، ويهلكون أرواحهــم في سبيل أجسادهم "أي في سبيل ملء بطونهم وجيوبهم!". ومــا العلــوم والآداب والفنون إلا وسائل لكسب الرزق!! ومن ثم فالناس جميعاً مرضى النفوس ، والحياة كلها مستشفى كبير!

ولنستمع إلى المطلع الرائع لهذه القصيدة ، حيث يقول [٢] :

تعلمي الأقــدار أن أرحــم الــوَرى * فقلبـــي لكـــل العـــالمين رحـــيمٌ
وانظر في نفسي وأعــرف عــذرهم * علــى شّــرِهم داء النفــوس قــديمٌ
وإن جميع النــاس أهلــي وإخــوتي * وإن كــان فــيهم جــارم وذمــيم[٢]
فيا ويح هذا الخلــق ممــا يصــيبهم * مقـــادير يتلوهـــا أذى وهمـــوم
وليس خصيمي من يريــد شــقاوتي * فإنـــا جميعـــاً للقضـــاء خصـــوم

ويريد أن يحفز همم المصريين إلــى النهــوض والتقــدّم ، فيشــيد بتقــدم الأوربيين[٣] وبالصفات الخلقية التي أدت بهم إلى هــذا التقــدم، ولاســيما الجــد والاهتمام بالعلم، وقوة الإرادة، والأمل والطموح، والتضحية، وتخليهم عن صفات التواكل والعجز والكسل ...

---

[١] وا رحمة للناس "ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف

[٢] ديوان عبد الرحمن شكري ، لنقولا يوسف ن ص ٣٥٠ .

[٢] الجارم: المجرم

[٣] قصيدة بناء الشمال، ديوان عبد الرحمن شكري لــ نقولا يوسف ص ٣٠٥

حيث يقول:

إن أبنـــــــاء الشـــــــمالِ * عمـــــروا الأرض وصـــــالجوا
ورثـــــوا الملـــــك جميعـــــاً * كـــلَّ مـــن يســـعى ينـــالُ
إن للملـــــــك اعتـــــــزازاً * لـــــيس يدنيـــــه أشـــــكالُ
فلهـــــم فيـــــه فـــــلاحٌ * ولهـــــم فيـــــه مجـــــالُ
عمـــــروا الأرض ونمنـــــا * داؤنـــــا الـــــداء العضـــــالُ
ولهـــم فـــي الكـــون عـــرشٌ * قيمـــــة العـــــرشِ الرجـــــالُ

أرسل حضرة الأستاذ الجليل حسن أفندي فهمي المحـامي، هـذه الآبيـات الرائعة إلى صاحب الديوان. وهو كان في أصدقاء الشاعر، وكان أديبـاً شـاعراً حيث يقول: [1]

أتظلـم أيـامي ووجهـك شمسـها * وتجـدب أمـالي وأنـت تليهـا؟
هجرت فقلبي قلـب ثكلـى حزينـة * أصاب الردى يومـاً جميـع بنيهـا
وأظمـأت زهـراً للمـودة ناضـراً * سأروي بـدمعي زهرهـا وأقيهـا
وحـدثني عنـك الفـؤاد بسـلوة * فأضـحى فـؤادي للفـؤاد كريهـا
فما سمعت أذنـي لشـكري بسـابق * ولا أبصرت عينـاي قـط شـبيها

وفي قصيدة له تحت عنوان "الشعر" يوضح بأن الشعر يذل عن ذكر الدهر، ويعيد الحياة الماضية وحوادث النفس التي انقضت.

وهو للنفس بمنزلة الربيع للسنة، والشباب للعمر، حيث يقول: (فهـي رداً لأبيات الأستاذ الجليل حسن أفندي) :

طـــرب الفـــؤاد فهاتهـــا * فـــالخمر فـــي أبياتهـــا
"عبـــد الحميـــد" جلوتهـــا * كالكـــأس فـــي لمعاتهـــا
إن النفـــوس صـــحائف * الشـــعرُ مـــن أبياتهـــا
والـــنفس طيـــرٌ صـــارخٌ * والســـحرُ فـــي نغماتهـــا

---

[1] من ديوان عبد الرحمن شكري، لـ نقولا يوسف ص ٣٢٣

لـــو راعَ كـــرّ الـــدهر شـــيء * ريـــــع مـــــن نبراتهـــــا
فتـــــرى الحيـــــاة قنيصـــــة * فـــي الشـــعر مـــن عقـــداتها

ثم يختم ديوانه بقصيدة تحت عنوان "نظرتان في النفس"[٢] حيث يقول:

إذا جعـــل الإنســـان نصـــب لحاظـــه * مآثمـــه هانـــت عليـــه مكارمـــه
قييأس حتـــى يحســـب الخيـــر خدعـــة * وينحـــل عنـــه صـــبره وعزائمـــه
ويصـــبح لا يرجـــو صـــلاحاً لنفســـه * كأن سراب الخيـــر مـــا هـــو شـــائمه
ويحســـب كـــلَّ النـــاس حيـــاً ومـــاكراً * يداويـــه عـــن آثامـــه ويكاتمـــه
ويحســـب أن الخيـــر والشـــر كذبـــة * وأن خيـــال الحـــق مـــا هـــو حالمـــه

[٢] قصيدة "نظرتان في النفس" م ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف، ص ٣٥٧

الديوان الخامس

الخطرات

ديوانه الذي طبعه الطبعة الأولى سنة ١٩١٦م

الخطرات

إن القلوب خـــــوافق والشعر من نبضاتها
والشعر مرآة الحيـــا ة تطل في مـــرآتها
فتـــراه في آلامهـــا وتـــراه في لـــذاتها
والشعر في عبراتها والشعر في ضحكاتها
والشعر كالإلهام يـــأ تي النفس في يقظاتها
والكون آية شاعـــر يـــأتي بمبتكـــراتها

من قصيدة "الشعر" في الجزء الرابع لصاحب الديوان .

هذه الأبيات بدأ بها شاعرنا عبد الرحمن شكري ديوانه الخامس الذي طبع طبعته الأولى سنة ١٩١٦م.

قصيدة "إلى المجهول"[١] أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة في عدد ٢ مايو سنة ١٩٣٨م وأضاف إليها مقدمة طويلة منها :

(الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكـــون، والشـــغف باستطلاعه وكشف و الذي أخرج الإنسان من المعيشة في الكهوف، ومن حضـــارة العصر الحجري من عصور الحضارة، وأزال عنه خوف من مظاهر الطبيعة فأخذ يبحث تلك المظاهر ....) ومن أبيات قصيدة (من المجهول) قوله :

يحوطني منك بحر لست أعرفه ومهمه لست أدري ما أقاصيه[٢]
حياتي بنفس لست أعـــرفها وحولي الكون لم تدرك مجاليه[٣]

---

[١] قصيدة "إلى المجهول" ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ٣٩٦

[٢] المهمة القفر .

[٣] المجال: مباديه

لي نظرة في الغيب تسعتدني لعل فيه ضيـــاء الحق يبـــديه

"أشد ما يكون الليل روعة الليل، في وحشة البحر فلذلك شيبه به المجهــول حيث يقول:

ليل مهيب كليل البحر حندسه * تكاد تسمع منه صوت طاميه

فليت لي فكرة كالكون واسعة * أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه

ثم يقول:

ليس الطموح إلى المجهول في سفه * ولا السمو إلى حق بمكــروه

إن لم أنل منه ما أروي الغليــل به * قد يحمد المرء ماءً ليس يرويه

والقانعــون بما قــد دان عيشهــم * موتى فإن خضوع اللبّ يرديه

يا قلب يهنئك نبــض كله حــرق * إلى الغرائب مما عز ســاميه

فالعيش حب لما استعصت مسالكه * تجارب المــرء تدميه وتعليله

ثم يذكر لنا في هذا الديوان حادثة في حياة الرومان وهــي قصــيدة للعبــد الرومان "إيكاروس"[١] . حيث يقول:

مضى العبدُ إيكاروس في بيت سيد يرى الظلم حقاً ليس فيــه ملامً

فيا شقوة العبــد الذليــل ونحســه وفي الظلم لذات الظلــوم تــرام

فلما طغى بالعبــد نحس وشقــوة وما كل نفس في الحضيض تقام

تأبــط سيفــاً مــرهفاً وسعى به إلى حيث مولاه الظلــوم ينــام

فأورده من سيفه مــورد الــردى وذلك في حكــم الأنام جســام[٢]

وأشعل ناراً ليس تخبو ضــرامها فأصبح ذاك القصر وهو ضرام

وجندله بالسيــف أنصــار ربــه فقال : وقــد أهدى إليه حمــام

قول العبد:

حــلال أباحــوا ورده وحرام ولست على العبد الذليل حرام

قيود بها يشقى الضعيف ذليلة لها في أنوف الخانعين خطام[٣]

---

[١] قصيدة "إيكاروس" ديوان عبد الرحمن شكري لـــ/ نقولا يوسف ص ٤٢٥

[٢] الجسام العظيم الجسم

[٣] الخانعون: الخاضعون

وكـــم خـــرت تعس بخشاش منهم فصالوا وجالة والنفـــوس نيـــام
أخالوا إحلالا أت أذلـــوا تجـــولهم نفـــوسنـــا ولا مثل المـــذلة ذام
فإن قدروا جود فقـــد قدّر الإبـــا وذاك في حكم القضاء نظـــام
وإن جميع الناس في الضعف أخوة إذا لم يخف مرعى الحرام سوّام[1]

قول الواعظ:

قضى الله أن الجـــرم للجرم باعث * وربَّ بريق شبّ منه ضـــرام
فـــلا تحسبـــن الشـــرّ فرداً فـــإن * تُـــوأم إذا جدّ الـــردى وتـــؤام
وللشرّ عدوى كالوباء وعـــــدوة * هو الشرُ في هذي النفوس سقام
فلا تقصدن بالشـــر نفساً بـــريئة * فقد ينتحيك الشر وهـــو سقـــام

وتعتبر هذه القصيدة من أروع القصائد السياسية الثورية التي نظمها خـــلال الحرب العالمية الأولى ضد المحتلين البريطانيين لمصر وفيها صـــور ثـــورة عبـــد مظلوم على سيد الطاغية، وقد أدت الثورة بالعبد إلى أن ينتضي سيفه ويقتل سيد، ثم يشعل النار في قصره.

ويصور شكري ــ على لسان ذلك العبد ــ المظالم التي اســـتباح الطغـــاة ارتكابها ضد الضعفاء.

(وهو بهذا يشير إشارة واضحة إلى المحتلين وجرائمهم.)

وثم يختم ديوانه هذا بقصيدة "الهوى حلم العمي"[2] حيث يقول:

كان عهدي بالأماني في الشباب * كالغـــواني راقصات مـــن هيـــام
صار عهدي بالأماني كالسحاب * في دجى العيش ظـــلام في ظـــلام
كنت أرجو العيش حلو الثمرات * صرت أخشى إن دعاء داعي الأمل
كنت أقلي الموت مر بالجرعات * فحـــلا لي بعـــدكم مـــرّ الأجـــل
إن عيشي بعدكم مثل الظـــلام * أنتـــم كنتـــــم ضياء البصـــــر

---

[1] السوام التي ترعى

[2] قصيدة "الهوى حلم العمي" ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ٤٣١.

الديوان السادس
"الأفنان" ١٩١٨م

وفي ديوانه الأفنان يبلغ به الفزع من الفساد الخلقي درجة ينصح فيها قارئه أن يلبس دروعاً يتقي بها شرور الناس ، وأن يضع هذه الدروع بوجه خاص على عينيه وأذنيه لئلا يرى أو يسمع شيئاً من قبائحهم، كما ينصحه ألا يعاملهم بـــاللين، لأنه لا يجدي معم إلا الشدة. حيث يقول [١]:

ألبس على السمع درعا * وألبس على العين درعا
فالناس شـــاك وعـــاد * يبغون في الدّرع صدعا
والمـــرء جـــد شقـــيٌ * إن ضاق باللـــؤم ذرعا
وأقهـــر فلست بنـــاج * إن رمت باللين طـــوعا

ويشير بوجه خاص إلى اتصافهم بالحسد:

إن نعمـــة بك حلّـــتْ * ساءت لدى الإلف وقعا
حتى كـــأنّ لهـــا في * حشاهُ نهشـــا وقطعـــا
تكـــاد تخطـــم أنفـــاً * منه وتثقـــب سمعـــا
فليس يبرأ صـــدراً * إلا إذا شـــام نفعـــا
تخال في العين منه * أفعى وفي الثغر أفعى
يروم خفضك كيما * ينال بالخفض رفعـــا[٢]

فيقول شاعرنا عبد الرحمن شكري"(أما عن مناظر الطبيعـــة فـــي شـــفيلد وأثرها في شعر : "في ذهني صورة واضحة عن مناظر الطبيعـــة التـــي رايتهـــا وأوحت إلى بنظمها، فمثلاً في شفيلد أيام نظم الجزء الثاني ثم قصائد ظلت تختمر في الذهن إلى الأجزاء التالية.

وكنت في شفيلد أخرج إلى أحراش وايتلي وشفيلد تسمى الصورة القبيحـــة في الإطار الجميل، وفي أحراش وايتلي المياه، المتساقطة والأشجار الباسقة، ثـــم

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري ، ص ٤٥٤ .

[٢] قصيدة "درع الحياة" ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ٤٥٤

حديقة النباتات" والأزهار وأحراش وايتلي كتب قصيدة "الفصول"[١]وغيرهـا مـن القصائد . واصفا فيا جمالها الطبيعي وأشجارا ومياهها في الصيف ..

طيري أماني النفوس وغـردي * فلقد دعاك الروض خير دعائه[٢]
هذي عيون الطبيعة قـد رنت * في الزهر من أكمامه وخبـائه
بسط الربيع على الحياة رداءه * يا ليتها أبـداً تـرى بـردائه
بل ليته برد تخيط على هوى * هذي النفوس لكي ترى بروائه
والشيء لولا أن يروع بفقده * ما شاق عنـد قـدومه بلقائـه
وعندما جاء الشتاء
لا كـالشتـاء تـزايلت أوراقه * كتزايـل المهجـور عن قـرنائه
تناثـر الأزهـار عـن أفنـانه * كتناثـر اللّـذات مـن أهـوائه
وتخـال إذ دلف الشتـاء كأنمـا * سـاق السنـا بدبوره ورخـائه
هرب الضياء من السحاب وريحه * هرب الكعاب من الهوى وقضائه[٣]
مثل المريض يفر من عادي الردى * هيهات ذا والدّهـر من أعـدائه
راع الشتـاء بقـرّه فكـأنمـا * أنفـاس ثغـر الموت قُـرّ هوائه
وعندما جاء فصل الربيع، قال :
عطف النسيم على الأزهار هـامساً * إنّ الـربيع سعى على ندمائه
أنّ الـربيع أخـا الصبيحة مقبـلٌ * إقبال وجـه الحبّ في لألائه
كالظئر بشـرت النـؤوم بأن بدا * فجرٌ لعيـد كان قيد رجائه
والقلب مثل الطير في وضح الضحى * يتلو على الإصباح آي غنائه
وكأنمـا أمّ الخـلائق دوحـة * في قبـل آدم في قـربائه
تشدو كشدو الأم نـاح وليـدهـا * تحنو عليه لصونه ووقائه
والريح طيـرٌ شـاد في أفنانهـا * وكرا كأن الزهر من أبنائه

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري ، ص ٤٦٢ .

[٢] في الأصل ــ دعاك الصيف

[٣] في الأصل: هرب الضياء في الرياح إذ سطت

ثم يعود فصل الصيف ويشبهه الشاعر بأنه عهد الشباب فيقول:

وكأنمـــا زهـــر الخميلـــة إن بـــدا حلم الهوى في طيبة ووضـــائه[1]

والطير أرواح الزهـــور وصـــيفها عهد الشباب يروق فـــي لألائـــه

ضحك الزمان فذاع من ضـــحكاته صيف يعيد الحبَّ فـــي غلوائـــه

والقـــيظ يزفـــر بـــالهجير كأنمـــا يتـــنفس الولهـــان فـــي برجائـــه

فكأنمـــا مـــرح الحيـــاة وحســـنها لهب ترقرق فـــي خفـــى دمائـــه

---

[1] الأصل: في طيبة وسنائه

الديوان السابع
أزهار الخريف

كانت طبعة هذا الديوان ولأول مرة عام ١٩١٩م وبدأها بهذا الإهداء إذ يقول:

"أهدي هذا الديوان إلى إخواني القليلين في أنحاء القطر المصري ، الـذين أيدوني بثقتهم وبرسائلهم، وأعانوني بها في الحياة على بعد الشقة، ومن غير سابق لقاء وبالرغم من عداوة السفهاء، وسباب الأخساء ، الذين يقول فيهم المتنبئ:

وإنه المشير عليك فيّ بطلة فالحر ممتحن بأولاد الزنى !

والذين يقول فيهم أيضا:

أتنكر موتهم وأنا سهيل طلعت بموت أولاد الزناء[١]

وظهر الجزء السابع عام ١٩١٩م بعنوان "ديوان أزهار الخريف" فـي ٦٤ صفحة.

وصدر بعبارة إهداء، وبمقدمة، رداً على بعض الحملات التي أعتاد البعض كتابتها عنه في الصحف.

وفي هذا الديوان أزهار الخريف .. يؤكد في قصيدة "العدل والكسب"[٢] أن الناس منافقون، يظهرون غير ما يبطنون، ويعظمون من ينفعهم، بغض النظر عن رذائلهم، ويحقرون من لم يشاركهم شرورهم، بالرغم من فضائله ومواهبـه، وإن المفاهيم والمبادئ الأخلاقية كمفهوم العدالة "تجدها فـي الحقيقـة أهـواء النـاس ومصالحهم المادية ورغباتهم ورهباتهم" فيقول:

إذا كان رزق المرء كبـداً يكيـده * فأي يقين فـي النفـوس الكـواذب؟

فما ينتحي حيّ سوى نفـع نفسـه * وإن خاض منه في خبيث المكاسـب

يذود قلوب الناس عن كـل سـابق * كما ذيد طير في الرياض بحاصـب

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري لـ/ نقولا يوسف ص ٥٠٣

[٢] قصيدة العدل والكسب، ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ٥٥٠

أبيت على الأسقام نضـــواً محســـداً * وأحســـب أنـــي نـــاعم بالمـــآرب
وهل ذاق لؤم الناس إلا أخو ضنى * تكنفه الأعداء مـــن كـــل جانـــب ؟

أما عن مناظر الطبيعة في شفيلد وأثرها في شعره فيقول:

"في ذهني صورة واضحة عن مناظر الطبيعة التي رأيتها وأوحت إلـــى بنظمهـــا، فمثلاً في شفيلد أيام نظم الجزء الثاني ثم بعده قصائد ظلت تختمر في الذهن إلـــى الأجزاء التالية:

وكنت في شفيلد أخرج إلى أحراش وايتلي وشفيلد تسمى الصورة القبيحـــة في الإطار الجميل، وفي أحراش وايتلى المياه المتساقطة والأشجار الباســـقة، ثـــم حديقة النباتات والأزهار وأحراش وايتلي كتبت قصيدة "الفصول" وغيرهـــا مثـــل قصيدة "الشلال" .

وفي هذه القصيدة الأخيرة يصور شكري مظـــاهر القـــوة والروعـــة فـــي الشلال، ولكننا نلمح خلالها ملل الشاعر من الحياة، إذ تذكره سرعة المياه المتدفقة من الشلال ببطء أيام الحياة، وتراخيها، فيود لو تسرع به عجلة الحياة كما تســـرع مياه الشلال .. وهذا الملل يجعله يصور نفسه أسنة راكدة، ويطلب من الشـــلال أن يخلصه من هذا الأسن وهذا الركود[١]

وفي قصيدة الشلال[٢]

يا أخا الصمت في الجلالة والـــرو ع وصـــنْوَ النكبـــاء والهوجـــاء[٣]
إن في القلب لوعـــةٌ مـــا تقضـــى أنـــت حاكيـــتَ همتـــي ورجـــائي
أحسب الخلـــد مثـــل مائـــك ينهـــا ر ونفســـي فـــي مائـــه كالهبـــاء
أنت فجرّت فـــي ضـــلوعي ينبـــو عاً من الشجو مسرعاً في دمـــائي
ليـــت أن الحيـــاة مثلـــك تعـــدو لا تراخي مثـــل الجيـــاد البطـــاء

---

[١] رسالته بتاريخ ١٩٥٥/١٠/٦، نقلا من كتب عبد الرحمن شكري د. عبد الحميد غراب ص ٢٥

[٢] قصيدة الشلال، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ٥١٢

[٣] أي أن صوت الشلال في روعته كالصمت التام في روعته، فإن لكل منهما روعة وهو شبيه بالرياح الأعاصير في صوته.

بل إننا نلمح في القصيدة نقمة الشاعر على الحياة، وإحساسه بالظلم فيهـــا، إذا نراه يصور الشلال ناقماً على الظلم الموجود في الطبيعة، يريـــد أن ينصـــف السهل من الجبل:

إنما أنت ناقم ينصف السهـــ ـــل بفضل الشواهق الشماء[١]

تجعل الوعر والحزون سواءً ليس نجـــد ووهدة بســـواء[٢]

وتمتزج أحاسيس الشاعر بمياه الشلال، وتنسكب عليها أشواق روحه إلـــى المودة وإلى السعادة ، ولكنه ينهي القصيدة مثلما فعل في العديـــد مـــن قصـــائده الأخرى يتذكر الموت والفناء، وأنهما نهاية كل شيء، فيخاطب السلال قائلاً:

سوف تغدو كالشيخ في أخريات الـــ نهـــر تسعـــى بهمة شمطـــاء

فأغتبط بالمضاء وأمـــرح طـــويلاً كـــلُّ شـــيء لطيَّـــة وفنـــاء[٣]

---

[١] فضل الشواهق أي فضلات الجبال من صخور غيرها.

[٢] الحزون: الأراضي غير المستوية.

[٣] الماء: المراد به نفوز العزيمة وقوتها. لطية: لغاية يستعر عندها

الديوان الثامن

أما الديوان الثامن فلم يجمعه الشاعر أو يفكر في طبعه ونشره في حياتــه، وتركه للزمن وقد سبق أن قال :

أرمي بشعري في حلق الزمان ولا أبيت منــه على هــم وبلبــال

ويتضمن هذا الجزء الثامن ما نشره الشاعر في حياته مــن القصــائد فــي الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩م.

ومعظمها في الواقع نشر بعد عام ١٩٣٥م. ولو أنه نظم قبل هذا التــاريخ. وقد جمع منها هنا ٥٣ قصيدة. وقد تكون هناك أبيات أو قصائد أخرى مطوية في بعض الصحف القديمة. وللزمن أن يظهرها للطبعات القادمة. فقد علمنا أن الشاعر نشر قصيدة بعنوان "في القافلة" بجريدة عكاظ عدد ٦١ في ١٩٢٠/٤/١٢م. كمــا علمنا أنه نشر بالمقطم قصائد "الإنسان والكون" و"الأبد في ساعة" و"الخلق العظيم" و"إلى المجهول". وبالأهرام "المثل الأعلى". وأن له قصيدة بعنوان "ســنة ١٩١٩" بأحد الكتب. وبعض هذه القصائد منشور في هذا الديوان بالعناوين نفسها

وكان الشاعر قد نشر قصيدة "الطفل" بمجلة "الهلال" في ١٩٣٢/٨/١. ثــم أعاد نشرها بال تبديل بمجلة "الرسالة" في ١٩٣٦/٥/١١م.

كما نشر له ثلاث قصائد بكتاب" "ديوان الإسكندرية" لجامعه الأستاذ علــى محمد البحراوي والذي صدر منه الجــزء الأول فــي أكتــوبر ١٩٣٥م. وهــي "الصحراء" و "الأمل" و "الشاعر البابلي المجهول". وأعاد الشاعر نشر القصــيدتين الأولى والثانية بمجلة الرسالة عام ١٩٣١ وكلها منشورة في ديوانه للدكتور. نقولا يوسف.

وكذلك نشر له ثلاث قصائد بكتاب "مشاهير شعراء العصر" للأستاذ أحمــد عبيد. وهي "البحر" و "مرآي الجمال وذكرى الجلال" و "مفتاح القلوب" وأعاد نشر

الأولى والثانية بالرسالة وكلها منشورة في ديوان عبد الرحمن شكري[١]، د. نقولا يوسف.

وكان الشاعر قد بدأ بنشر قصائده المنشورة في الجزء الثامن متلاحقة بمجلات: الرسالة والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة، والمقطم ، والأهرام فيما بين ١٩٣٥م و ١٩٥٠م منها ٣٥ مقيدة بجملة الرسالة و ٦ بالمقتطف و ٤ بالمجلة الجديدة و ٣ بالهلال . ثم كف عن النظم والنشر منذ عام ١٩٥٢م لإصابته بالشلل النصفي.

وبين قصائد الجزء الثامن قصيدتان لم ينشرها الشاعر في حياته وهما: "الأندلس العربية" (أو حلم بالأندلس)، و"بهاء الحياة" وكان في خلال مرضه الأخير قد أعارهما لآنسة بجامعة عين شمس، كانت تنوي إعداد "ماجستير" في شعر شكري ثم عدلت عن ذلك وتزوجت ، واحتفظت بالقصيدتين حتى عثرنا عليهما وهما منشورتان في ذا الديوان "ديوان عبد الرحمن شكري د. نقولا يوسف" ص ٦٦٧ ص ٦٦٨. كما أنه أعارهما مع كثير من الصحف والمجلات التي نشرت قصائده لأديب آخر بالقاهرة كان ينوي إعداد رسالة جامعية عنه ولم يعدها للآن. ولهذا خلت مكتبة الشاعر قبيل وفات من جميع آثاره[٢].

أما الديوان الثامن والأخير فقد نشرت معظم قصائده للمرة الأولى في الفترة بين سنة ١٩٣٥م – ١٩٣٩م. وقد رأينا فيما سبق أن هذه الفترة كانت فترة عصيبة في حياة شكري ، بل لعلها كانت أعصب فترات حياته على الإطلاق.[٣]

وقد أدى شعوره العميق بالمرارة من جراء الظلم الذي وقع به إلى أن يفقد الأمل في عدالة البشر، بل وأن يزداد يقين بغلبة الشر والفساد في الطبيعة البشرية، وفي الحياة الإنسانية كلها، ولذلك نجد في هذا الديوان قصائد غير قليلة تصور الآفات الخلقية التي كانت ــ من وجهة نظره ــ تنخر في المجتمع المصري، بل وتنخر في الجنس البشري كله.

---

[١] نقلا من ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف ص ٦٧٥

[٢] المرجع السابق ، ص ٦٧٦

[٣] المرجع السابق ، ص ٥٥٠

فنراه يصور الرسائل التي كان يتبعها الناس لتحقيق النجاح في الحياة[1] وكلها وسائل وضعية لا أخلاقية، ومنها أن يتخلى الإنسان عن فضيلة الحياء، ويتصف بالكيد والدهاء والنفاق، ويحاول بأية وسيلة ــ إرضاء ذوي الجاه والسلطان وأن يمدح كل من يتوقع منه نفعاً، ويقبل واقع الحياة وواقع الناس كما هو، ويرضى به مهما بلغ من الفساد، وألا يعاف التخلق بأية سجية ــ مهما كانت قبيحة ــ إذا كانت تدنيه من هدفه ..! فإذا عاقر الإنسان إتباع هذه الرسائل فلا نصيب له في الحياة إلا الفشل والإخفاق . يقول :

لا بل الفوز صحة واقتدار * وببذل للذخر أو للحياء
وبأن تطبى رضاء ذوي الجا * ه وأهل الخدور والأقوياء
وبإحباط من يكيد بكيد * رُب فوز مستجلب بالدهاء
وبإطراء من ترى منه نفعا * وبإرضاء كلِّ دات وناء
واحتذاء الحياة ترضى الذي * ترضاه من شيمة ومن سيماء

ويهتم بآفة الحسد (وما يصاحبها من آفات) فيخصص لها قصيدة كاملة، يصور فيها الحياة من حوله بحراً من الحسد، ويصور الناس (يسعون) لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر، كأنما يسبحون في بحر من الحسد. وقد يدفع بعضهم بعضاً كي يظهر الدافع على متون أمواجه، وقد يعين بعضهم بعضاً في الأحايين. أما المجاملة في الحياة والتحيات فقد تكون أشبة بلألأ الشمس على سطح الماء ، يخفي بجماله ما في البحر من قبح وبلاء[2]. فيقول في قصيدة تحت عنوان (بحر الحسد) [3]

يسبح الأحياء في بحر الحسد * فأعتصم بالصبر فيه والجلد
وأقتعد صهوته مستبشراً * سابحاً في الموج منه والزبد
ضاحكاً من عنت الأمواج، لا * يدفع الغائل منها بالكمد

---

[1] [أنظر: معالم حياد "قسم (٤)"]، نقلا عن كتاب عبد الحمي غراب ص ١٠٤

[2] مقدمة لقصيدة تحت عنوان " بحر الحسد" ديوان عبد الرحمن شكري،د. نقولا يوسف، ص ٦١٦.

[3] نشرت بمجلة "الرسالة"، العدد ١٣٠، في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٥م.

أنظر الأمواج في الشـــط ، تجـــد * لجتهـــا منهـــزم الأمـــر بـــدد

كما يهتم بنقد الآفات الخلفية التي تخلفها عهود الاستعباد ونفوس الشـــعوب الضعيفة، ولاسيما اللؤم والرياء والحقد والكيد والتخاذل والكذب وذلة النفس وهـــي آفات يتقي بها الضعفاء صولة الأقوياء، ولكنها تظل تعمل عملها المدمر في نفوس الأفراد حتى بعد زوال الاستعباد، ويذكر ذلك في قصيدة "ندالة التعاسة".[١] حيـــث يقول :

ليس شر الناس قصـــراً علـــى النحـــــ * ـــس ولكن كم أشعلت من عـــداء

وحقـــــــود وخســـــة وسعـــــــارٍ * واغتيـــال ومكـــــرة وريـــــاء

تفســـــد الأنفـــــس الكـــــرائم حتـــــى * تقتـــدي مثـــل أنفـــس اللؤمـــاء

ضاع عطف الرحيم إذا ضاع حسن الـــ * ـــخلق في ضيم أنفس التعساء[٢]

ولعل نقده الخلقي للمجتمع المصري يبلغ قمته في قصيدة "أقـــوام بـــأدوا"[٣] وقد نشرت لأول مرة سنة ١٩٣٨م. وكان لها ـــ كما أشرنا مـــن قبـــل ـــ صـــلة وثيقة بمأساة خروجه من عمله.

كتب شكري لهذه القصيدة مقدمة سماها "مفتاح القصيدة" قال فيها:

جعلوا لطبع اللؤم كل قداسة وتحرزوا من سنة المختار

"المختار هو النبي صلى الله عليه وسلم. وكل من نبذ سنة الله ورسوله لابد أن يصير إلى ما هو موصوف في هذه القصيدة من الصفات. ونعني بالنبـــذ نبـــذ القلب، وإن لم ينبذ اللسان. ولا نعني أحداً بالذات، وإنما هو صفات يعـــرف كـــل منصف أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار". حيث يقول:

تركوا اللبـــاب وشـــاقهم مـــا شـــأ * نهم من بهرج في مطلب غرار

عاشوا عبيد كلامهـــم لـــم يـــدلفوا * مـــن خلقـــه لحقـــائق الأفكـــار

جعلوا حطام اللؤم أعلـــى مكســـب * وأعـــز محمـــدة ليـــوم فخـــار

---

[١] كتاب عبد الرحمن شكري ، لعبد الحميد غراب ، ص. ١٠٦.

[٢] قصيدة "ندالة التعاسة"، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ٦٢٥

[٣] قصيدة "أقوام بادوا" ومقدمتها، المرجع السابق ، ص ٦٤٣

ونقرا القصيدة فإذا هي هجاء عنيف لأقوام يصفهم الشاعر بأنهم قد غفلــوا عن اللباب من كل شيء، وعشقوا البرج الزائف، وأنهم عبيد لألفاظ لا ينفذون إلى ما وراءها من الأفكار والحقائق وأنهم يتصفون بالنفاق واللؤم، ويغتابون النـــاس، ويغارون ــ كالنساء ــ من كل تميز وإجادة.

الباب الثالث

الخصائص الفنيّة التعبيريّة في شعره

الفصل الأول : اللّغة والصياغة .

الفصل الثاني : الموسيقى .

الفصل الثالث : الصور .

الفصل الرابع : الوحدة الفنيّة .

الفصل الأول
اللغة والصياغة

الرومانسية في صراع مع التقليدية فقد هاجموا الطريقة التقليدية في التعبير اللغوي وراحوا يتحدثون عن شيء جديد في اللغة لا ندري هل وفقوا فيه ولو من حيث الجانب الفكري؟

أم أنهم قد وفقوا في جانب ولم يحالفو النجاح في مآربه . قرأ شكري مقالاً طويلا لـ (ورد زورث) في كتابه (حكايات ريفية) وهذا المقال عن الشاعر بعنوان "الشعر وألفاظه" يحاول فيه أن يرجع بالشعر من حيث الموقف أو الحدث إلى الغّربة أو إلى الطبيعة. فهو يرى أن هذا هو عين الصدق وأنه كلما أخذت العام في أحداث حياته العادية وفي لغة حديثهم كنت أقرب إلى الصدق الذي ينشره الفنان أو الشاعر. يقول شكري: (إن الشعر الصادق هو الذي تحس أن جزء من الطبيعة كالسماء والقمر والنجم). وفي هذا المقام نجد ورد ورث يقول: (إن الشعر لا يعني من العبرات دموعا ملائكية خاصة، ولكنه يعني دموعاً بشرية). وليس للشعر لغة خاصة في نظر ورد زورث وليس هناك ألفاظ شنيعة وأخرى غير شنيعة بل لفظوا المعجم الشعري وكل لغة الحياة في نظره تصلح مادة للشعر من حق الشعراء أن ينشدوا فيها كيفما يشاءون والمعيار عندئذ يكون هو التوفيق ما بين الأداة وما بين الموقف فليس هناك لغة شريفة وغير شريفة فإنما معجم الحياة كله يصلح مادة ونجد أثر ذلك على شاعرنا عبد الرحمن شكري. إذاً شكري يتأثر بورد زورث ويتأثر بالعقاد أيضا وفي ديوانه "عابر سبيل" بهذه الفكرة من الرومانسية. ولم يكن ورد زورث يقصد بطبيعة الحال إلى نقل لغة العامة كما لم يطلب بذلك أن الفلاحين من الشعراء، بل كانت دعوته أن يدخل في نطاق الشعر المواقف العادية وشئون الحياة اليومية وأن يصيغ الخيال فيها صيغة فطرية بإدخال بعض الصور الحية في لغة هؤلاء البسطاء كي يكتب الشعر حياة وقوة. فليس هناك ألفاظ نبيلة وأخرى غير نبيلة ــ بل يمكن أن يكون للكلمات العادية معنى رفيع يسمو بها في مواقعها إلى ما تبلغه غيرها من الكلمات.

وذا الذي يدعو إليه ورد ورث هو جزء من مذهبه ومذهب رفاقه الرومانسيون في (العودة إلى الطبيعة) حيث يندمج الشاعر بعواطفه الإنسانية في فكاهة الطبيعة الخالدة.

ويرى (ورد زورث أن لغة الشعر لا تختلف عن لغة النثر الجيد إلاّ أنّ الكلام في الشعر يكون منظوم "موزون" لأنه كثيراً ما يكون في النثر بل لا يراه ورد زورث مقابلاً رقيقاً لأنه كثير ما يرد في النثر أسطر وقوافي موزونة بحيث يكاد يستحيل تجنب الوزن فيها.

يقول ورد زورث قولته الأثيرة: (إن الشعر لا يهمي من العبرات ما يشبه عبرات الملائكة ولكنه يسفح دمعاً آدميا طبيعياً. إنه لا يستطيع أن يفاخر النثر بأن دماء مقدسة تجري في عروقه فميزت دماء من دماء النثر إذ يدب في عروقها على الشعراء دم بشري واحد).

وهكذا نتبين أن طابع المدرسة الرومانسية هو إيثار البساطة في التعبير وعدم التقيد بالمعجم الشعري ، بل كانوا يؤثرون الكلمات الشائعة المألوفة الاستعمال، واهتموا بالنفس الإنسانية في صورتا البسيطة فلم يحفلوا بالملوك والأمراء ورجال الحاشية والأبطال على نحو ما كان يحتف الكلاسيكون بل راحوا يصورون أغوار نفوسهم ونفوس العامة من الشعب معبرين عما تحسنه هذه النفوس من رقة ووضوح.

وأنطلق شكري في أثر هذه الدعوة نظم شعره وتجربته الجديدة . فليس هناك ما يسمى صياغة شعرية ثابتة، وإنما نظر البارودي وأصحاب النهضة من المحافظة على عادة الشعر القديم ليس والخير فيما يرى بل الخير من وجهة نظر شكري أن لا نستأثر. ما هذه المادة وما يرتبط بها من صيغ الشعر العربي المحفوظة.

وأن ينتج لشعرنا مادة أوسع هي مادة اللغة كلها فليس فيها شعري وغير شعري بل هي كلها ذات قابلية واحدة من حيث الشعر وأساليبه. ولم يقل شكري ذلك صراحة ولكن ديوانه يشهد بذلك. وشكري يتأثر أيضا تأثراً كبيرا يدعو إلى تقريب اللغة العربية من لغتنا العامية وقد دعا إلى ذلك "أحمد لطفي السيد " ووجد صدى لدعوت عند "المازني" و "هيكل" و "الحكيم".

ومهما يكن من أمر فإن الأثر الرومانسي والغربي يبدو واضحاً في أراء شكري النقدية حول استخدام اللغة فهو ينأى بالشعر عن الغرابة، بل أن القريب ليس شرطاً لجيد الشعر ونرى شكري أيضا يرفض التكلف في صنعة الأساليب ، كما يرى ضرورة التحرر من المعجم الشعري ويبدو الأثر الغربي الرومانسي أشد وضوحاً حين نرى شكري يرفض تقسيم الكلمات والعبارات إلى شريفة ووضيعة مدعماً وجهة نظره بشواهد من شعرنا العربي القديم الذي يعيش في خاطره. يقول: (وجدت بعض الناس يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة وأحسب أن كل كلمة كثر استعمالها صارت وضيعة وكل كلمة قلّ استعمالها صارت شريفة! وذا يؤدي إلى ضيعة الذوق وفوضى الآراء في الآداب).

ويستدل لذلك بأن أحد الأدباء قرأ قول الشريف الرضي : (فالبناء واقية والمجد عالي) فقال المجد عالي عبارة وضيعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها ولو أردنا أن تحدق من شعر الشاعر سواء أكان الشريف الرضي أم امرئ القيس العبارات الكثيرة الاستعمال ــ لحذفنا أكثر شعرهم.

ويتفق أيضا يقول: (إذا فامتهان الكلمات أو الكلمة لكثرة استعمالها رأي غير رجيح). ويخلص شكري إلى أن معيار المفاضلة بين الكلمات ليس الغرابة. بل هو الدقة في استعمال الألفاظ في مواضعها وصدى دلالتها على معانيها يقول: (ولو فرضنا أن في الكلمات الوضيعة أو الشريفة للوضيعة منزلتها من الشعر مثل الشريفة".

وإنما العيب في استعمال الكلمات في غير موضعها. فينبغي للشاعر في نظره ــ أن يصرف أية كلمات تعبر عن المعنى أو العاطفة التي يريد وصفها أتم تعبير فشرف الكلمة في نظره في دلالتها على المعنى وفي وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر لا في غرابتها.

يقول: (فلو كانت الكلمات وضيعة تلوكها الألسن فيزدري بها الأزدرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه الصور الطويلة . من أجل ذلك كان الطابع العام لمدرسة شكري هو الاعتناء بالمعاني وعدم الاهتمام بالصياغة واللفظ وقد أخر هذا بشعرهم كثيراً لأن المعاني في الشعر لا تقصد بذاتها ولكنها تقصد حين تلبس ثوب

الفن الربيع مصحوبة بالموسيقى الشعرية الخلابة . فإذا أكتف الشاعر بالمعنى ولم يعط أركان الشعر الأخرى حقّها هبط شعره إلى مستوى النثر العادي. وحقاً لقد كانت آراء شكري النقدية في الشعر وألفاظه والتي تأثر فيها بالرومانسية وورد زورث خاصة، جليلة القيمة جديدة على الشعر العربي ، غير أن أثر هذا الآراء على شعر شكري لم يكن رقماً يحدث التأثير الجمالي لدى القارئ في بعض شعره خاصة . في ديوانه الأول الذي يقترب كما قلنا في بعض قصائده من النثر العادية ولم يكن شكري موفقاً في بعض القصائد الأخرى حين استخدم ألفاظاً لم يتجاوز بها دلالتها المعجمية أو حين استخدم ألفاظاً أخرى لا عهد لها بالاستخدام الشعري مثل (البصاق)، (رقة)، (غبي) وغيرها. وهذا لا ينفي وجود قصائد أخرى رفيعة المستوى في ديوانه الأول "ضوء الفجر".

والشعر انتقاء وفي كل شعر جيد انتقاء. فالشعر هو أولاً فن التأمل لا فن الانفعال وفن الكلمة المستعصية المتكبرة لا الكلمة المتاحة في كل وقت.

وإذاً فليجدد شعراؤنا في مضمون قصائدهم كما يشاءون ، ولكن ليصوغوا ذلك في صياغة تروغنا. أو بعبارة أبعد ليكن من أهم أهدافهم ألا يقفوا بعيدا عن صياغتنا الفنية، بل عن الصياغة التي عاش فيها شعرنا قديما وحديثاً وليعرفوا أن الصياغة عبء وجهد وليست تلقى في الطريق (شيء ملقى). وأيضا ليست عبادة بالتقاليد إنما هي نبوة مع فهم أسرارها وتجلّيها بروح جديدة ومعاني جديدة ، فالقديم يلقى مع الجديد والماضي يلتقي مع الحاضر التقاء مثمراً لا تخذل فيه الصياغة المعنى، بل تزيده روعة وبهاء. ولا شك أن في دواوين شكري العديد من القصائد والمقطوعات والأبيات التي تبلغ درجة عالية من الإجادة من حيث اللغة والأسلوب الجيد وهي ليست شيئا هيناً في شعرنا الحديث، فقد ساعدته لغته السهلة الرقيقة في شعره الوجداني الذي يفيض بحب الحياة والحب والطبيعة وآيات الجمال في الكون مما يضيف نغماً متفرداً في ديوان الشعر العربي الذاخر، من ذلك قوله في بيتين بعنوان (نوح الحفيف).

حيث يقول:

يا حفيفَ الغصون هل أنت تحكي الـــ نوح أم أنت مشبه للغناء؟

أنت قلب الأديب يشدو ويبكي كدموع الندى وقطر السماء!

فهي قصيدة نوح الحفيف" من ديوانه السابع "أزهار الخريف" صفحة ٥٦٣، لنقولا يوسف.

ويقول شكري أيضا أبياتاً رقيقة في مناجاة الحبيب ، وهي من ديوانه الأول[١] :

لـــو أن أشـــجان الفـــؤاد تطيعنـــي لنظمتها لك فـــي القـــريض نســـيبا

أو مـــا علمـــت بـــأنني لـــك عاشـــقٌ أفنـــي الزمـــان صـــبابة ونحيبـــا

يا بؤس مـــن ســـكنت إليـــك لحاظـــه إن كنت أنت على المحـــبِّ رقيبـــا

أرنـــو إليـــك فتحتـــويني هيبـــة فـــأرد طرفـــي خاشـــعاً مغلوبـــا

مـــا حيلـــة الطـــرف الـــذليل إذا كبـــا إن كان شخصك في الفؤاد مهيبـــا[٢]

يا نظـــرة تهـــدي الشـــجون وتنتضـــي سيفا من الطرف الكحيل مصـــيبا[٣]

فهذه الرقة المفرطة، وهذه السهولة في اللغة تشـــير إلـــى أن الرومانســـيون العرب جعلوا لغة الشعر أكثر سهولة وقربا من لغة الحياة، وقد كان لشـــكري دوره الكبير في هذا المجال من التجديد في الشعر العربي الحديث مع ما هو معروف عن تعدد جوانب أسلوبه واختلفت حالته النفسية صعوداً وهبوطاً فاختلف معهـــا أحيانـــاً مستوى التعبير اللغوي قوة وضعفاً سهولة وتعقيداً ، وعبد الرحمن شكري فيما يرى الناقد الكبير "محمد منظور" في كتابه (الشعر بعد شوقي):

"نفس قلقة كثيرة الشكوك والهواجس معذبة بملكاتها، ومثل هذه الحالة النفسية لم يكن بُد من أن تصيب شعره أحياناً كثيرة بعدم الاستواء فنراه يرتفع أحيانـــاً إلـــى

---

[١] ديوانه الأول ، ص ٣١ .

[٢] كبا أي عثر

[٣] أنتقى سل

قمة الشعر بينما يهبط أحيانا أخرى إلى مستوى النثر المسطح كما يتأرجح بين غزارة الرؤية الشعرية وبين غموض النفس والتواء العبارة"[٤].

"وقد كان عبد الرحمن شكري في أثناء دراسته بمدرسة المعلمين قد عاد على كتاب الأغاني، وحماسة أبي تمام، وديوان الشريف الرضي، وغيرهم. ووجد فيها كثيراً من شعر الزخرف والاستعارات والتشبيهات، والشعر الوجداني، فتأثر بهذا كله، وظهر هذا الأثر في دواوينه الباكرة ، فكان في أول الأمر كما يقول ــ ينظر إلى اشعر كأدب ترف وزخرف وتشبيهات، ثم راح ينظر إليه كأدب وجدان وإيمان "فن إيمان في الموضوع الوطن، وفن إيمان ووجدان في العقيدة والنسيب"[١]

وقلت في شعره بعد ذلك الزخارف والاستعارات القديمة، وامتزجت فيه الرومانسية بالواقعية.

كما كان في تلك الفترة ينظم القصائد ويكتب المقالات ، وينشرها في صحف ذلك العد، ومن ذالك مراثيه في مصطفى كامل وقاسم أمين (حين انتقلا إلى رحمة الله عام ١٩٠٨) ، والشيخ محمد عبده (١٩٠٥) ــ وقصائده: في سبيل الجامعة، والثبات وغيرها ...[٢]

حيث يقول:[٣]

ثباتاً فإن العار أصعب محملاً ... من الذل لا يفضي بنا الذلّ للعار

وإن تحسبوها خطة للطيش إننا ... ذوي العزم لا نفضي لصولة جبار

فإن روعونا كي يقودوا أشدة ... ثبتنا على الترويع نلهو بأخطار

فما زادنا الترويع إلا حمية ... وهل حسبوا أن يطفئوا النار بالنار

سيهزمهم منا أبوة ماجد ... وهمة خطار وعزمة مقدار

فيا قوم لا حققتمو قول عازب ... عن الحق يستخبي الرياء بأعذار

---

[٤] اللغة والصياغة، د. عبد الفتاح الشطي، مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة الشعر العربي الحديث، جامعة القاهرة _ فرع الخرطوم، سنة ١٩٨٨.

[١] ديوان عبد الرحمن شكري، ص ٣-٤، نقولا يوسف.

[٢] ديوان مصطفى شكري، نقولا يوسف، ص ٤

[٣] قصيدة الثبات، ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ٧١

أقيموا بنا نهج الطريق لغيرنا فإنابني الأوطان كالجار للجار

وكما يقول الدكتور محمد مندور في مقاله عن شكري: (... وبذلك جاء شعره أصيلا متميزاً بطابعه الخاص . فهو لا يمكن أن يوصف بأنه شعر عاطفي، ولا بأنه شعر عقلي ، ولكنه شعر ذو طابع خاص يمكن أن نضعه بأنه شعر التأملات النفسية أو الاستبطان الذاتي .. أي تأمل العقل في النفس البشرية وتحليل عناصرها كوسيلة لمعرفة تلك النفس ..)[١]

لقد كان شكري رائداً أهل على القصيد العربية فوجدها ترسف في أغلال من الشكل والموضوع التقليدين. فكان في طليعة المبادرين إلى تحرير الشعر من الأغراض القديمة التي كانت تستنفذ طاقة الشاعر الإبداعية. فعمد إلى تجاربه الذاتية، وانفعالاته الخاصة، ينظمها شعراً رائعاً عكس موقفه من الحياة والناس. كما أنه يخضع للصياغة الكلاسيكية الموروثة، فافتن في أوزانه مما أضفى على شعره مرونة وموسيقية ، كما كان له الفضل في أن يكون أول من يثور على القافية، ويرى فيها عائقا عن الوحدة العضوية للقصيدة . فأدخل الشعر المرسل وبذلك أسهم في وضع أساس العقيدة العربية الجديدة..) .

وأما عن الأسلوب اللغوي، فلشكري طريقته الخاصة في النظم والتعبير.. شعر عربي قوي رصين، وأسلوب لغوي مكين متين.. يدل على تبحر الشاعر في اللغة وأساليبها، وألفاظها، واشتقاقات الألفاظ ومترادفاتها ..[٢]

ومن حسن الحظ أن شكري قد تأثر في مطلع حياته الأدبية بمختارات من أجود الشعر العربي القديم والحديث ولعل هذا هو ما حفظ ديباجة شعره عربية سليمة ، بالرغم من تأثره بالشعر الإنجليزي فيما بعد، وشكري يعترف صراحة بفضل الشيخ المرصفي وكتابه فيقول: (فإذا كنت مدينا لأحد فأنا مدين للشيخ

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ١٥

[٢] ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ١٥

المرصفي الكبير بما أفادني في كتاب الوسيلة الأدبية ومدين للشعراء الـذين اختـار لهم[٣] .

وإلى جانب اللغة العربية وآدابها أتقن شكري اللغة الإنجليزية لأنـه تعلمهـا وتلقى تعليمه بها منذ صباه، فقد كان تعليم معظم المواد الحديثة في المدارس الثانوية المصرية في ذلك الوقت باللغة الإنجليزية يقوم به في الغالـب مدرسـون إنجليـز. وكذلك بدأ شكري يطلع على الأدب الإنجليزي في المدرسة الثانوية. وهو يـذكر أن أستاذه في هذه المدرسة مستر ستفنز كان يشجع تلاميذه على قـراءة كتـب الأدب الإنجليزي في طبعة سهلة رخيصة، وبهذا أطلع على مجموعة صـالحة مـن هـذه الكتب[١].

أما ثقافته الشعرية في هذه المرحلة فقامت في معظمها كما قلنا علـى كتـب المختارات من الشعر الإنجليزي والشعر العربي. ففي الشعر الإنجليزي درس فـي المعلمين العليا كتاب الكنز الذهبي The golden Treqsuay لفرانسيس بالجريف F. Palgrve الذي كان أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد من سنة ١٨٨٥ – ١٨٩٥.

وقد أختار في هذا الكتاب خير ما كتبه الشعراء الإنجليز من شعر غنائي منذ عصر شكسبير حتى أواخر القرن التاسع عشر وإلى جانب الكنـز الـذهبي كـانوا يدرسون بعض روايات شكسبير والفردوس المفقود Paradise Lost.

أما في الشعر العربي فقد درس شكري في تلك الفترة كتاب الأغـاني لأبـي الفرج الأصبهاني. ومختارات الحماسة لأبي تمام. وكان لهذه المختـارات العربيـة والإنجليزية أثرها الحاسم على شعر شكري. كما يدلنا هو بنفسه على ذلك فيقول: "عند ذاك [أي عندما ألتحق بالمعلمين العليا] طبع الرافعي حماسة أبي تمـام فوجـد [شكري] في شعر أبي تمام نسيب الترف والتشبيهات والاستعارات ، وفي مختاراته نسيب الوجدان والأشجان وتصادف أن صرف له كتاب ذخيرة الذهب الإنجليزيـة،

---

[٣] من رسائل عبد الرحمن شكري، نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب، ص ٤٧-٤٨.

[١] من رسائل عبد الرحمن شكري، نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب، ص ٤٧-٤٨.

واتفق أن طبع ساسي المغربي كتاب الأغاني، فكان كتاب الأغاني لما فيه من الشعراء العذريين، ولما فيه من الأغاني الموسيقية الشجية مصدر وحي يستقي منه مثل كتاب الذخيرة الذهبية في الأغاني الإنجليزية مثل أغاني بيرون وشيلي وتنسون وبراوننج" وذهب عبد الرحمن شكري إلى إنجلترا فلم يزدد إلا تشبثاً بشعراء الأغاني ولاسيما العذريين وشعر الوجدان للشريف الرضي، وشعراء النغم الإنجليزي مثل بيرون وشلي وكينس وتنون وبراوننج .. إلخ، فجمع بين الطريقين بعد الجزء الثالث خاصة. ولذلك ما لبث عندما عاد من إنجلترا أن صار شعره وجدانيا يجمع بين الأشجان والأفكار وظل على هذه الطريقة[1].

إن شعر شكري لا ينحدر انحدار السيل في شدة وصخب وأنصاب، ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون. قد يعتمد على بعض القراء فهم شيء من شعر شكري، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التي بها يفهمونه. وليس ذلك بما يطلب منه. ولو حاوله لأفسد شعره بالعمل والزيادة. ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا في كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاء ويقربها من إحساس قرائهم. وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب فإن العواطف لا تتأثر بالإطناب وإنما هو مما يتوسل به إلى إفهام العقول، وإدخال المعاني إلى الأفكار.

وفي النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أدوار الشعر عليه كما لا توقع أدوار (الأوركستر) على القيثار أو المزهر. فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة. فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر فيسلبها أن تستغرب رنة اللحن الذي ليس في معزفها وتر يهتز بهز به.

قال لي بعض المتأدبين أن شعر شكري مشرب بالأسلوب الإفرنجي! وأنا لا أعلم ماذا يعني هؤلاء بقولهم الأسلوب الإفرنجي والأسلوب العربي، فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين في الأساليب والتراكيب، ولكنها مسألة تفاوت في

---

[1] رسالته التي وصلت في ١٩٥٥/٧/١٧م، نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب، ص ٥١

جوهر الطبائع ، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب، في المزاج كاختلاف الأمتين في الملامح والسحناء.

وأشبه بالحقيقة عندي أن يقال الأسلوب الآري والأسلوب السامي، فإنه أو على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب. الآريون أقوام خيال نشأوا في أقطار طبيعتها هائلة، وحيواناتها مخوفة، ومناظرها فخمة رهيبة. فاتسع لهم مجال الوهم، وكبر في أذهانهم جلال القوى الطبيعية. ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات في الذهن ويجسم له الوهم. فيصبح شديد التصور، قوي التشخيص لما هو مرد عن الشخوص والأشباح.

والساميون أقوام نشأوا في بلاد صاحية ضاحية، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم. فقويت حواسهم وضعف خيالهم.

ومن ثم كان الآريون أقدر في شعرهم على وصف سرائر النفوس. وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء، وذلك لأن مرجع الأول إلى الإحساس الباطني، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر السامي يشبه الإنسان بالبدر. ولكن الآري يزيد أنه يمثل للبدر حياة كحياة الإنسان، ويروي عنه نوادر الحب والمغازلة والانتقام كأنه بعض الأحياء. وهذا ولا مراء أجمع لمعاني الشعر لأنه يمد في وشائج التعاطف، ويولد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة وداً وائتناساً يجعلهما الشعر السامي وقفا على الأحياء، بل على الناس دون سواهم من سائر الاحياء .

وهذا الفرق بين الآري والسامي في تصور الأشياء، هو السبب في أتساع الميثولوجي عند الآريين، وضعها عند الساميين. فليست الميثولوجي إلا اللباس قوي الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء. وتلك طبيعة الآريين فإنهم كما قلنا قد إمتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين ، وهذا أيضا هو السبب في إفقار الأدب السامي إلى الشعر القصصي، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر في الأدب الآري. فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجي، وتستمد منها أصولا. وقد وسعت القصص منطقة الشعر

الغربي فكانت ينبوعاً تفرعت منه أساليبه وتشعبت أغراضه ومقاصده. وحرم الشعر العربي، فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها.

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصري، فليس المراد تقسيمه إلى عربي وإفرنجي، ولا يراد بالعصري مقابلته بالقديم. فإني أعتقد أن الشعر العصري يشبه الشعر القديم في أن كليهما يعبر عن الوجدان الصميم. ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذي تدلى إليه الشعر العربي في القرون الأخيرة. فالشاعر قد يكون عصرياً بريئاً من التقليد إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجياً في مسلكه.

وأيما شاعر كان واسع الخيال قوي التشخيص، فهو أقرب إلى الإفرنج في ذلك ، وأشبه بالآريين في مزاجه ، وإن كان عربيا أو مصرياً. ... جامعا بين سعة الخيال والإطلاع على آداب الغربيين[1].

وفي ديوانه الثاني: الذي صدر سنة ١٩١٣م كما أوضحنا سابقاً.. نجد قصيدة عنوانها "شكوى شاعر"[2] أعلن فيها رأيه بصراحة في هذا النوع من الشعر، كما أعلن مفهومه الجديد للشعر، فقال:

قد طال نظمي للأشعار مقتدراً والقوم في غفلة غي وعن شأني
قد أولعوا بكبير السنِّ أو رجل بنى له الجاه ما يعلو به الباني

فهو في هذه القصيدة يشير إلى أن الناس في عصره كانوا مولعين بهذا النوع من الشعراء، والشعراء الذين ينظمونه، كما يشير إلى أنّ بعض هؤلاء الشعراء قد وصلوا إلى الشهرة لعوامل وأسباب خارجة عن نطاق الشعر، مثل تقدم السن، أو صلتهم بأصحاب الجاه والسلطان (ولعله يشير بهذا إلى شوقي). ثم يعلن رفضه للموضوعات التقليدية المطروقة في الشعر العربي القديم، كبكاء الديار، والوقوف على الأطلال، كما يعلن رفضه أن يقول شعراً في أخبار السياسة، وذلك لسبب

---

[1] الشعر ومزاياه، مقدمة للديوان الثاني، بقلم الأستاذ/ عباس محمود العقاد، نقلا من ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ١٠٢-١٠٦

[2] من ديوان عبد الرحمن شكري ص ١٦٤، نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب ص ٧٠-٧١

خلقي، وهو ما يحيط بالسياسة والسياسيين في ذلك الزمان (وربما في كل زمـــان!) من ألوان الخداع والكذب وقول الزور. ويعلن كذلك أن نظم الشـــعر فـــي وصـــف المخترعات الحديثة وشكوى الزمان إنما هو ابتذال للشعر بل إن كل تلك الأغراض التي استهلكها شعراء المناسبات في عصره إنما هي انحطـــاط بالشـــعر والشـــاعر جميعاً.

أما المفهوم الجديد للشعر عنده فهو أن للشعر عناصر من أهمها: التصـــوير، والخيال ، والعاطفة (أو الإحساس بما خفقت له القلوب). والفكرة (أو المعنى العميق الذي يروح الفهم).

أما مفهوم "التذكرة" فمفهوم غامض، ولعله بعنـــي بهـــا أن للشـــعر رســـالة خلقية[1]، وليس معنى هذا أن الشاعر في رأيه واعظ، فهذا أبعد ما يكون عن رأيه، بل معناه أن من رسالة الشاعر في الحياة أن ينبه الناس إلـــى نقائصـــهم وشـــرور أنفسهم. وذلك بطريقة الفنان المهتم بالجانب المظلم من النفس البشرية (وســـنجد أن مشكله الفساد الخلقي مختل جزءاً كبيراً من شعر شكري) . أما وظيفة الشعر عنـــده فهي تصوير الحياة بما فيها من خير وشر (وسنجد أن جانب الشر يستأثر باهتمـــام شكري أكبر من جانب الخير).

وفي آخر القصيدة يشير شكري إلى أن شعره كان جديدا على النـــاس فـــي عصر، فوصفوه بأنه مملوء بالبدع. ولعل شر بدعة في رأيهم هي أن صاحب هـــذا الشعر لم يكن "يشعر" فحسب، بل كان "يفكر" أيضاً ، وكان تفكيره واســـعاً عميقـــا، ولذلك أتى شعره بمعان غريبة عليهم، ولو أنهم تأملوا فيها، وأنصتوا لهـــا بقبـــولهم وأذهانهم لفهموها، ولكنهم لا ينصتون إلا بآذانهم!! ومع ذلك فمعانيـــه لا تخاطـــب العقول فحسب ، بل تخاطب القلوب أيضا وترقصها بأنغام الحب والحنان.

---

[1] (أنظر رأيه في العلاقة بين الشعر والأخلاق وكذلك توضيحه لعناصر الشعر في الفصل الرابع الخاص بشكري "الناقد" ص ٢٤٣ وما بعدها)نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب ص ٧٢-٧٣

موضوعات شعره:

رفض شكري إذا شعر المناسبات وكل ما يتصل بـــه. فـــرفض أن يصـــف الأحداث السياسية والاجتماعية بصورتها المادية العابرة أي بوقائعها التاريخيـــة أو اليومية. كما رفض أن يقول شعراً في المدائح والمراثي والتهاني وما إليها، أي فـــي الموضوعات التقليدية التي تدور حول "الأشخاص"، والتي تعد فـــي رأيـــه امتهـــان للشعر والشعراء.

ويدل أن يتجه شكري على الأحداث الجزئية العابرة، وإلى الأشخاص بذواتهم المادية، اتجه إلى التأمل الوجداني في المعاني العميقة التي تكمـــن وراء الأحـــداث والأشخاص. وفي القوانين التي تحكم سير الحياة الإنسانية، وسير التاريخ، كما تحكم نفس الإنسان ومكانته في الكون. وكذلك اتجه شكري بوجه خـــاص إلـــى القضـــايا الكبرى التي تواجه ضمير المفكر المعاصر، ولاســـيما قضـــية الإفـــلاس الخلقـــي والروحي الذي تعانيه البشرية في القرن العشرين. ويستأثر وجود الشر والنقص في الحياة الإنسانية وفي النفس البشرية ، ومواجهة الموت للإنسان. بالاهتمـــام الأكبـــر بهذا الشاعر المفكر. ولذلك تتجه تأملاته الوجدانية في معظمها إلى نقد مظاهر الشر والنقص في الحياة ومظاهر الفساد الخلقي في نفوس الناس ، ووصف الموت. كمـــا تتجه إلى وصف الحالات النفسية المختلفة لصاحبها، ووصف آلامه وآماله، والتعبير عن أشواقه الروحية التي تطمح إلى حياة أكمل وأجمل من حياتنا هذه.

ولنفهم لماذا أعرض شكري عن الأحداث والأشخاص وأقبل على التـــأملات الوجدانية في الحياة والأخلاق والنفس ــ أقول: لنفهم هذا الموقف على حقيقته ينبغي أن نبين أنه ليس مجرد موقف أدبي لشاعر ناقد[1]، بل هو بالإضافة إلى ذلك موقف فكري فلسفي متصل أو ثق الاتصال بفلسفة الشاعر الأخلاقية المثالية. فشكري كان يحتقر المادة ، وكل ما هو مادي ، ويعلي من شأن الروح، ومن شأن الأفكار العقلية

[1] (الفصل الرابع "الناقد")، عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب، ص ١٤٧ وما بعدها.

المجردة تلك الأفكار التي تشبه المثل الأفلاطونية في أنها حقيقة الوجـود وخالـدة، بينما العالم المادي كله وهم باطل[٢].

كما كان يعلي بوحه خاص من شان المثل العليا الأخلاقية: وكان دائما ينشـد الكمال بمعناه الأخلاقي والجمالي معاً، فكان يود لو يتحقق وجـود الخيـر المطلـق والجمال المطلق في الحياة والفن مع تيقنه بأن هذا مستحيل.

ومن ثم كان شكري يشعر شعوراً حاداً بمأساة الحياة الإنسانية ، فكان يشـعر "بتأقيت" هذه الحياة بكل مظاهرها المادية. فالأشخاص والأجسام والأحداث ومعنـى تأقيت الحياة عنده أنها قصيرة، وعابرة ومهددة بالموت والفناء في كل لحظـة، أي أنها أبعد ما تكون عن الخلود، وكذلك هي أبعد ما تكون عن الكمال، لـيس لوجـود الشر والقيم فيها فحسب، بل لأن وجود الشر والقبح فيها ضروري لتصور إمكانيـة وجود الخير والجمال.

لهذا كله عرف شكري عن الأحداث والأشخاص، واتجه إلى التأمل الوجداني في الحياة الإنسانية والنفس البشرية.

وهذه الحال السيئة تثير لدى الشاعر فكرة إسلامية، هـي فكـرة المجـدد أو المصلح الذي يظهر بين الحين والحين في المجتمع الإسلامي، ولاسيما في فتـرات الفساد والانحطاط[١] ويتمنى شكري ظهوره لينقذ الناس في عصـره مـن المـوت الخلقي، ومن إيثار الهزل على الجد ويناديه قائلاً[٢] :

فيا ساكنا في الغيب هـل أنـت مسـعد أما آن من خلف الغيوب سـفور؟
فإن نفـوس النـاس قـد مـات جـدها ولـيس لهـم إلا لـديك نشـور
وصارت حيـاة القـوم مزحـة عابـث وقولـك طـبّ للنفـوس قـدير

لا شك أن شكري كان يطمح إلى الشهرة في عالم الشعر، وإلى أن تتحقق له هذه الشهرة في حياته. ولا شك أنه كان يستحق هذه الشهرة. إذ لا ينكر منصف أنه

---

[٢] جمهورية أفلاطون، الكتاب الخامس، ص ٤٧٤ وما بعدها.

[١] كتاب الأستاذ/ المودودي (موجز تاريخ الحركة التجديدية في الإسلام، ص ١٠٢ (عن فكرة التجديد وتاريخه في الإسلام، نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب

[٢] قصيدة (البطل المنتظر)، ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ٣٨٧.

كان شاعراً مجددا بكل معنى الكلمة جدد في الشعر العربي الحديث من حيث المفهوم ومن حيث المضمون ومن حيث الشكل جميعاً[٣]و لكنه لم يحظ بهذه الشهرة في حياته. فقد كان شعره جديراً وغريبا على الأذواق والأفهام والأسماع في عصره، فلم يسغ الناس هذه الجرأة ، بل هذه الطفرة في الخروج على التقاليد القديمة والموضوعات المطروقة، والقواعد الموحدة في شعر المناسبات إلى شعر "كله بدع".

شعر تأملات وجدانية عميقة في الحياة والموت في الإنسان والكون، في الطبيعة والنفس.. تأملات صيعت في عبارات وأساليب احتفظت بالديباجة العربية السليمة البسيطة، ولكنها لم تحتفظ بصنعة البيان والبديع، وإسراف المبالغات، وجهارة الرنين الموسيقي ، وضوضاء اللفظ الأجوف (فالألفاظ عند شكري لا تختار لذاتها، وإنما تختار كأوعية للمعاني) ومن ثم لم يلق شعره من معاصريه ما كان ستحقه من إقبال[١].

وقد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة، ليس تحتها طائل معنى. يحسب الناس أنه إذا أجد من النحو والصرف والعروض كفاية ، وأصاب من طرف الشعر غاية إجادة. وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة[٢].

وإذا ما أخذنها عند شوقي وطريقته في عمل الشعر والخلاف بينه وبين شكري نلاحظ أن .. (.. يجمع كل من عرفوا شوقي على أنه كان صاحب بديهة خارقة في عمل الشعر وصناعته، فهو لا يصرف همه إلى نظمه، حتى تأتيه المعاني سيولاً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، إذا كان دائما حاضر الذهن يقظ الروح والقلب لإبداع فنه وخلقه، ويوضح ذلك داود بركات رئيس تحرير صحيفة الأهرام في عصره، فيقول: (كانت الحادثة من الحوادث تقع صباحاً، فلا يحل المساء حتى تذاع بين الجمهور بقصيدة شوقي ، لأنه كان للحوادث تأثير شديد عليه، يهز أعصابه ، ويستثير نفسه ، ويحفز خياله ، وكان أكثر ما ينظم الشعر وهو ماشي أو واقف أو جالس إلى أصحابه، يعبث عنهم بذهنه وفكره، فقلما يجلس إلى مكتبه

---

[٣] نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب، ص ١٤٨-١٤٩

[١] نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري، عبد الحميد غراب، ص ١٤٨-١٤٩

[٢] مقدمة في الشعر لصاحب الديوان، ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ٢٨٧

للتفكير وعصر الذهن ، فإذا جلس إلى المكتب فلتدوين ما يكون قد نظمه واستوعبه في ذاكرته ، فبين سيكارة وأخرى يجد فكرته، وبين كلمة وأخرى يجد الظرف الموافق لهيكل الفكرة[٣]. وعاب عليه شكري وبعض النقاد هذا الشعر الذي كان يذيعه سريعا في المناسبات ، وقالوا أنه دليل على أنه لا يعبر في شعره عن عقيدة أو مذهب خاص.

وجاء البارودي فأنقذ الشعر العربي من هذه المحنة، وأرتد به إلى أصوله العريقة، وإلى ينابيعه الصافية في عصور ازدهاره ولاسيما في العصر العباسي، وبالرغم من محاكاة البارودي لكبار الشعراء الأقدمين في الديباجة والموسيقى وأحياناً في المعاني ، فقد احتفظ بشخصيته وأصالته الشعرية فصور ، بصدق وقوة نفسه الطموح، وآلامه وآماله، كما صور التجارب السياسية الدامية التي لعب فيها دورا فعالا، ولاسيما تجربة الثورة العرابية، ووصف المعارك الحربية الطاحنة التي اشترك فيها مع جيوش العثمانيين خارج مصر . كما وصف الريف المصري وتغنى بجماله .

ولذلك يعد البارودي ــ بحق ــ إمام المجددين في الشعر العربي الحديث[١].

---

[٣] كتبا ذكرى الشاعرين ص ٢٠٧.

[١] عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، الجزء الأول الفصل الرابع.

الفصل الثاني
الموسيقى

للشعر نواحي عدة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا، ما فيه من جـرس الألفـاظ وانسجام في توالي القاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها وكل هذا مـا نسـميه بموسيقى الشعر[١].

وتؤلف الموسيقى عنصراً مهماً من عناصر الشعر بما تتوسل به مـن وزن وتقفية وغيرهما من مصادر الإيقاع الشعري، وألوان الجرس اللفظي والموسيقى حد الشعر وسمته الفارق، يستخدمها الشاعر ليناسب بينها وبـين المواقـف المصـورة ويلائم بين الإيقاع وحالته النفسية الخاصة، وبين القافية وألفاظ البيت ودلالتها[٢].

" والموسيقى قسيم الخيال ، فهي تطهر النفوس بإعادتهـا ونسـقها بعـد أن أضطرب وأختل نظامها، وترجع بها إلى سوائها الوجـداني، ولغيـر لنـا النظـام الطبيعي لمشاعرنا وإحساسنا بما لها من قوة خفية ساحرة قادرة" [٢].

ولعل العرب اهتمت أول أمرها بالشعر أكثر من اهتمامها بالنثر، وسبب ذلك أن الشعر أسرع إلى النفوس، وأبقى في الذاكرة ، والعرب أمه أمية ، لا تكتـب ولا تقرأ في مجملها. فلذلك استعانوا بالأوزان والقوافي لتسهيل عملية الحفظ والروايـة، هذا بعد الغاية الأولى، وهي التطريب والإمتاع الذي تحدثه الموسيقى.

وموسيقى الشعر أمران: النغم المنتظم وهو التفعيلات وجرس الألفاظ[٤].

والموسيقى الخارجية : يقصد بها الوزن والقافية:

---

[١] موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، دار التعليم – بيروت – لبنان، ط ٤ سنة ١٩٧٤، ص ١٣

[٢] الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، على إبراهيم أبو زيد، دار المعارف مصر، ط ١ سنة ١٩٨١، ص ٣٧١

[٢] نفسه ص ٣٧١

[٤] المرشد ج ٩٣/١

الوزن: وهو الخاصة التي تميز بها الشعر ويعرف وتحترس بـــه مـــن أن تعريـــف الشعر بحد تام ليس بالممكن، والحد التام لا يتأثر بالخاصة ولكن بالفصل ، والوزن خاصة الأفضل[١].

القافية: من لوازم الشعر العربي، وجزء من موسيقاه، بها تتم وحدة القصيدة، وتحقق الملائمة بين أواخر أبياتها[٢].

وقد أختلف العلماء في تعريف القافية (قال الخليل: هي من آخر البيت إلـــى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن ــ وقال الأخفش: هي آخر كلمة فـــي البيت أجمع ومنهم من يسمي البيت قافية، ومنهم من يسمي القصيدة قافية، ومنهم من جعل حرف الروي هو القافية[٣] والجيد المعروف من هذه الوجـــوه، قـــول الخليـــل والأخفش[٤].

والقوافي نوعان: مقيدة ومطلقة.

القوافي المقيدة:

هي ما كان رويها ساكنا وخالياً من الوصل

القوافي المطلقة:

أ/ مجرد: وهي التي خلت من الردف والتأسيس ولكنها موصولة بحرف لين أو هاء.

ب/ مردفة: موصولة بلين أو بهاء

والردف: (ألف أو واو أو ياء سواكن قبل حرف الروي

ج/ مؤسسة: وهي القافية التي تشتمل على ألف بينها وبين الـــروي خـــرف واحد ــ مثلا "عالم"

حروف الروي: هو الحرف الذي ينبني عليه القافية.

---

[١] دوان أو الأسود، ج ٢١/٤

[٢] أصول النقد الأدبي، أحمد الشيب ص ٣٢٤-٣٢٥

[٣] الوافي في الصروف والقوافي، الخطيب التبـــريزي، الدار الســـودانية للكتب، الخرطوم ١٩٧٥م، ص ٢٢٠

[٤] نفسه، ص ٢٨٨

الموسيقى الداخلية:

وهي الرنين المنبعث من الشعر، وقدرة التعبير بالرنين ملكة خاصة منحها الله الشعراء، فالوزن والبحر والقافية كالإطار للإيقاع كله. داخل هذا الإطار الألفاظ التي تشيع نقراتها نقراته، وتزيد هنا رنينا وإيقاعاً، وتراكيب الألفاظ بعذوبة تقسيماتها وموازناتها وطباقها وجناسها وتكرارها.

ثم يوجد وراء هذا كله الإيقاع الرئيس الذي خص الشاعر به كلامه ليكون هو ذاته من وسائل بيانه وطرقه إلى الإيحاء والتأثير[١].

فالشعراء آذان باطنة وراء آذانهم الظاهرة يسمعون بها كل حركة صوتية وكل همسة لفظية وبمقدار سلامة هذه الآذان وقدرتها على التمييز بين الألحان والأنغام يكون تفوقهم الصوتي وحلاوتهم الموسيقية[٢].

وقول البروفيسور عبد الله الطيب عن أهمية الإيقاع الداخلي في البناء الشعري: (وبعد، فالإيقاع الداخلي هو سر التعبير في الشعر وجميع أصناف الوزن ووسائله هي كالمفاتيح فيهن محاكاة له، قد يهم (من الوهم) بعضهم فيظن أنه ينبغي على الشاعر الحق أن يخلص إلى إيقاع نفسه الداخلي دون استعانة بوسائل الوزن لأنهن حواجب وقيود وأثقال.

وأعلم أن دعوى أن يخلص امرو إلى إيقاع نفسه بغير وسائل الإيقاع[٣].

وإذا قرأنا شعر عبد الرحمن شكري نجده قد استعان بهذه الوسائل بقدر ملحوظ، ولعل قدرة الشاعر اللغوية قد أعانته على تسخير هذه الأدوات والوسائل لها ... وله في ميدان القريض فضل الرائد الذي سبق زمانه في عدة صفات مأثورات فهو من أسبق المتقدمين إلى توحيد بيئة القصيدة إلى التصرف في القافية على أنواع من التصرف المقبول، فنظام القصيدة في وزن واحد ومقطوعات متعددة القوافي، ونظمها مزدوجات وأبياتا من بحر واحد بغير قافية ملزمه، وآثر في تجاربه الأخيرة أن تلتزم القافية مع تعديدها في مقطوعات القصيدة الواحد! وتسنى له في جميع هذه

---

[١] المرشد ٣٤/٤ بتصرف

[٢] كتاب شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ص ٤٥

[٣] المرشد ج ٤٢/٤ .

المناهج أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشبع تلم القصص في أدبنا الحديث..)

هذا رأي العقاد وأنه شهادة رائعة بزعامة الشاعر وريادته.

إذا تركنا اللغة إلى الموسيقى فإننا نجد شكري شاعراً تقليديا يستخدم عبد الرحمن شكري الأوزان العربية كاملة ومجزءه ونظم في أكثرها، وفي ديوانه أيضا الأوزان القصار مثل المقتضب، والمجتث، والهزج)، ومن استخدمه لبحر الرمل (المجزوء)[١]

قوله:

بلحـــــاظ رأميـــــات * مصـــــنيات ســـــاكنات

كلحـــاظ الحيـــة الرقـــــ * ـــــطاء عنـــد الوثبـــات

وأيضا نراه يستخدم بحر الخفيف مجزوء مثل قوله في قصيدته (الإنسان والزمن)[٢]

حيـــــوان مهـــــــذب * أم آلـــــــه معـــــــذب[٣]

صـــــرح الخيـــــر والأذى * فيـــه والخيـــر أغلـــب[٤]

ومن الأوزان القصيرة التي تنظم بها أيضا الهزج في قصيدته "عصفور الجنة"[٥].

منها:

ألا يـــا طـــائر الفـــردو * س قلبـــي لـــك بســـتانُ

ففيـــه الزهـــر والمـــاءُ * وفيـــه الغصـــن فينـــانُ

ومن قصائده القصصية قصيدته "كسرى والأسيرة" كما ذكرنا سابقاً نجد القافية باهتة لا تكاد تلعب دوراً مهما في التشكيل الموسيقي العام في القصيدة وذلك

---

[١] د. عبد الفتاح الشطي، مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة الشعر العربي الحديثن جامعة القاهرة بالخرطوم لسنة ١٩٨٨م.

[٢] قصيدة الإنسان والزمن)، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ١٣٦

[٣] أي هل الإنسان حيوان مهذب أم الإنسان إله معذب

[٤] صرح بالتشديد أي ظهر

[٥] قصيدة عصفور الجنة، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ١٦٦-١٦٧.

الطغيان الطابع الموضوعي على القصيدة القصصية أو السردية ونـــراه فـــي هـــذه القصيدة يلتزم الألف قافيه لها، يقول فيها:

يـــا فتـــاة الحـــي قـــومي فاســـمعي قصة تقتـــل أطمـــاع الهـــوى
قصـــــــة ذات اعتبـــــــار آخـــــــذ بصميم اللـــبِ يقريـــه الهـــدى

ونراه يكفل لقصيدته مع العناصر الصوتية الأخرى قافية رائعة الرنين حـــين يتخذ النون المشبعة الكسرة أو التي تتبعها الياء (روياً) تسبيقه الواو أو الياء (سناداً) حيث يسبق السناء بياء أو بميم على هذه الشاكلة:

لواعج الحـــب تلـــويهم وتغرينـــي وسطوة الهجر تبغـــيهم وتغنينـــي
وفي الجفون دموع صـــلّ رائـــدها قول العزول عليها غير مأمون[1]

وتأثر شكري في مطلع حياته الأدبيّة ، وشـــعر البـــارودي ، وشـــعر كبـــار الشعراء العباسيين الذين احتذاهم البارودي في السياقة أمثال البحتري وأبـــي تمـــام وأبي نواس ، وغيرهم وكان هذا التأثير من خلال قراءته من شعر البارودي وشعر العباسيين في كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ المرصفي وإذا كان من حسنات هذا التأثر أنه حفظ ديباجة شكري عربية سليمة بالرغم من تأثره العميـــق فيمـــا بعـــد الأدب الأوربي والإنجليزي ــ فقد كان من سيئاته اتجاه شكري إلى الصنعة والتقليـــد فـــي شعره المبكر، ولاسيما في الديوان الأول.

فبالرغم مما نجده في هذا الديوان من مظاهر التجديد في الموضوعات وفـــي القافية المرسلة (كما في قصيدة كلمات العواطف) نجد فيه أيضـــاً بعـــض مظـــاهر الضعة والتقليد فنجد فيه قصائد في الفخر وفي المدح والتهاني[2].

وربما وجد شكري في القافية المرسلة نوع من التحرر من ضروريات القافية الموحدة التي تجبر الشاعر أحيانا على أن يقول ما لا يريد أو ألا يقول كلما يريـــد

---

[1] عبد الفتاح الطي مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة الشعر الحديث، القاهرة سنة ١٩٨٨ من كتاب عبد الرحمن شكري د. عبد الحميد غراب، ص ٢١٨-٢١٩

[2] عبد الفتاح الطي مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة الشعر الحديث، القاهرة سنة ١٩٨٨ من كتاب عبد الرحمن شكري د. عبد الحميد غراب، ص ٢١٨-٢١٩

ولذا نظم عدة قصائد من الشعر المرسل فيها قصيدته الطويلة (كلمات العواطف)[1]، نذكر منها

حيث يقول:

خليلي والإخـــاء إلـــى جفـــاء إذا لم يغذه الشـــوق الصـــحيح

يقولون الصحاب ثمار صدق وقد نبلو المرارة في الثمـــار[2]

وله قصائد في ديوانه الثاني وجد فيها شكري في القافية المرسلة نـــوع مـــن التحرر عن ضروريات القافية الموصوف مثل (واقعة أبقير) و (نـــابليون الســـاحر المصري) ومعظم هذه القصائد من الشعر القصصي .

(ويرى شكري أن هذا الشعر أحوج بطبيعته إلى القافية المرسلة من الشـــعر الغنائي. على أنه ينبغي أن نقف قليلاً عند صور من التجديد فـــي شـــكل قصـــيدتنا المعاصرة وهي تتفرع فرعين:

فرعا يستند على تراثنا السابق وما حدث في منظوماته وما حدث في القوافي والأوزان على نحو ما نرى في شعرنا الزدوج كالنثور والموشحات والرباعيات.

فرع يستند على صودر من الشعر الغربي وما فيه من ألوان القافيـــة المتعانقـــة أو المتقابلة والشعر المرسل والشعر الحر . وقد تأثر شكري بفكرة الشعر المرسل لمـــا قرأه في الشعر الإنجليزي ومن شعر "شكسبير" و "ملتون" خاصة. والشعر المرســـل يلتزم فيه الشاعر بحراً واحداً يكتبه بتحرر من القافية الواحدة فلكل بيت قافيته التـــي تختلف عما قبلها وبعدها وهي صورة خارجة على طبيعة القصـــيدة التقليديـــة فـــي شعرنا العربي.

ولم يكتب شكري بهذه القصائد من الشعر المرسل إلى أن يجرب النظم فـــي هذا الشكل المتحد الوزن المؤتلف القافية ، فقد جاء بشيء ينبو في أذن المتلقـــي ولا عهد للقارئ العربي بمثل هذا اللون من الشعر المرسل ولهذا فشلت هذه المحاولـــة وغيرها (الشعر المرسل). ونرى أن شعرنا العربي ليس في حاجة إلى أن نخضـــعه

---

[1] قصيدة كلمات العواطف، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ٨٥-٨٧

[2] العرب تقول الأصحاب ثمار صدق. ويقولون فتيان صدق، كما قال الشاعر الدارس:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم * على سر بعض غير أني حمالها

للشعر الغربي وصور العروضية لأن شعر كامل الأداة من الوجة الموسيقية وكل محاولة لإخراجه من صورته الخاصة من شأنها أن تنزله عن مستواه النغمي وحقاً أن الصور الغريبة الجديدة تجعل النظم أهو وأيسر، غير أن هذا التيسير ليس مطلباً للشاعر الممتاز الذي يستطيع بملكاته أن يذلل كل صعوبة، بل أن الصعوبة وخاصة في القافية من شأنها أن ترهف حسه وتصقل صريمته وتضبط منظوماته بلغة ارتكاز تتيح للناس أن يحفظوا شعره ويرددوه.

والعامية في شعرنا ليست عبئاً ثقيلا كما يظن فإن لغتنا تمتاز بثروة لغوية كبيرة وما على الشاعر إلا أن يتزود زاداً وافراً منها ، فإن القافية في يده هينة أكبر دليل على ذلك إنها لم تستعصي على شعرائنا المبدعين اللذين نظموا في الشعر القصص من أمثال "سليمان البستان" الذي ترجم إلياذة هوميروس. وشوقي الذي صنع مسرحيات مختلفة.

وإذا تركنا الوزن والقافية وهما عنصرا الموسيقى الظاهرية فعناصر الموسيقى الأخرى تشكل مجموعة عناصر الموسيقى الداخلية وجدنا روحا شعرياً يسرى في الكثير من قصائد شكري التي تتسم بطابع ذاتي يعكس تجربة الشاعر وصدق معاناته خلال ما يؤثر في نفس قارئة من هزات وذبذبات خاصة مصدرها تفاعل الألفاظ والعبارات فضلاً عن الصور الفنية وتساق كل هذه العناصر في وحدة نغمية لها أثرها في النفس ويكاد يتجسد أمامنا ذلك الروح في الشعر. في أبيات من قصيدته "ليتني كنت إلهاً"[1] :

يا جمال الحياة من علم العـــ * ـشاق رشف اللمى ولثم النهود؟

يا جمال الحياة من علم الشـا * عر وصف الهوى ونسج القصيد؟

يا جمال الحياة من علم الـرّ * سم رسم الضحى وورد الخدود؟

وهذا التوالي في استخدام النداء [يا] وهذا الانتقاء الدقيق للكلمات التي تعكس طرب الشاعر بالحياة وشدة إحساسه بها وبأوجه جمالها وحبه القوي لها مثل جمال

---

[1] د. عبد الفتاح الشطي مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة "الشعر العربي الحديث" بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، سنة ١٩٨٨م.

الحياة، حياة الحياة، وصف الهوى، القيد هذا التقسيم الجيد بين المقاطع وهذا التساوي والتماثل ما بين الكلمات والتعبيرات وأيضاً الاستقراء الصرفي في النداء تعكس تجربة الشاعر ، وينقل حبه الأثير للحياة والأحياء إلى وجدان القارئ وفكره فيحث بكل عناصر التأثير من حسن انتقاء الكلمات إلى حسن التعبير وحسن التقسيم أثراً قويا بنفس القارئ وذلك هو ما نطلق عليه في مقابل الموسيقى الظاهرة والموسيقى الداخلية التي مصدرها في الأبيات عناصر الفت مجتمعه في تجربة الشاعر وتكثر لدى الشعراء اللذين يعبرون عن تجارب وانطباعات ذاتية وجدانية شأن الشعراء الرومانسيون والشاعر الرومانسي عبد الرحمن شكري.

وتكثر المقطوعات في شعر شكري بجانب المقطوعات الطوال أيضاً فديوانه نبع زاخر بمتنوع النغم فيه ما هو صاخب طويل، هادر هدير الموج الشديد لتسمع منه صوت خرير المياه وشقشقة البلابل[1].

ويقول العقاد[2]: "نحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة. لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي، نقلتهم التربية والمطالعة أجيالاً بعد جيلهم، فلم يشعرون بشعور الشرقي، ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي. وهذا يندرج أول ما ظهر من تراثه أي ترعت الأقلام إلى الاستقلال ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية ... وحسب الأدب العصري الحديث من روح الاستقلال في شعرائه أنهم دفعوه من مراغة الامتهان التي عفرت جبينه زمناً فلن تجد اليوم شاعراً حديثاً يهنئ بمولود وما تفضي يديه من تراب الميت ، ولن تراه يطرى من هو أول ذاميه في خلوته ويقذع في هجوه من يكبره في سريرته، ولا واقفاً على المرافئ يودع الذاهب، وستقبل الآيب، ولا متعرضاً للعطاء يبيع من شعره كما يبيع التاجر من بضاعته. وما بالقيل من هذه الروح الشماء في الأدب أن تجهز على آداب المواربة والتزلف بيننا أو تردها إلى وراء الأستار، بعد إذ كانت تنشر في الأشعار، وينادي بها في ضحوة . ولا مكان للريب في أن القيود الصناعية التي

---

[1] د. عبد الفتاح الشطي مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة "الشعر العربي الحديث" بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، سنة ١٩٨٨م.

[2] العقاد من كتاب شوقي شاعر العصر الحديث، للدكتور شوقي ضيف ص ١٠٠-١٠١

أشرنا إليها ستجري عليها أحكام التغيير والتنقيح فإن أوزاننا وقوافينا أضيق مـــن أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مطالع نفسه، وقرأ الشعر الغربي. فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة، وكيف تلين في أيـــديهم القوالـــب الشعرية، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربي على وضعه فيغير النثر ، ولقـــد رأى القراء بالأمس في ديوان شكري مثالاً من القوافي المرسلة والمزدوجة والمتقابلـــة، وهم يقرأون اليوم في ديوان المازني مثالاً من القافيتين: المزدوجة والمتقابلـــة. ولا نقول أن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافي وتنقيحها ، ولكنـــا نعده بمثابة تهيؤ المكان لاستقبال المذهب الجديد، إذ ليس بين الشعر العربي والتفرع للماء إلا هذا الحائل، فإذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد. وانفـــرج مجـــال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها، ورأينا بيننا شعراء الرواية وشـــعراء الوصف وشعراء التمثيل ثم لا تطول ثغرة الآذان من هذه القوافي لاسيما في الشعر الذي يناجي الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان فتألفهـــا بعـــد حـــين، وتجتزئ بموسيقية الوزن عن موسيقية القافية الواحدة).

والعقاد يقرر في هذه المقدمة المذهب الجديد، فهو مذهب جيل ناشئ تربـــى تربية جديدة قوامها الثقافة الغربية، ونقلته هذه الثقافة من مزاج قومه القـــديم إلـــى مزاج أدبي جديد، وهو مزاج يقوم على اعتداد الشخص بنفسه، وخلعه لثياب الرياء والملق، أو بعبارة أخرى لثياب المديح والزلف، ونزعة لنفسه من عوائـــق التكلـــف والقيود الصناعية الثقيلة، ولعله يشير بذلك إلى شوقي وأمثاله من كـــانوا يضـــربون شعرهم على الطريقة القديمة وخاصة طريقة شعر المناسبات من مديح وغير مـــديح أما شكري وأما صاحباه المازني والعقاد فقد أخذوا ينظمون على مذهب جديد يلقـــى في شعر التهاني والمديح والهجاء، ويوضع مكان ذلك شعر التجربة التـــي تحـــدث حديث النفس وتصور حياة الناس، وأحلامهـــم الداخليـــة وأوهـــامهم وخـــواطرهم الفعلية[1].

---

[1] من كتاب شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ص ١٠١-١٠٣

ثم ليس هذا كلَّ الجديد الذي جاءوا به. فقد أخذوا يخضعون الشعر العربي لا لموضوعات الشعر الغربي فحسب، بل أيضاً لحركاته وقواعده في قوافيه، فقد رأوا شعرنا يخلو من الشعر القصصي والشعر التمثيلي، فظنوا أن ذلك يرجع إلى الصعوبات الموجودة في نظامه، واقترحوا أن يتخلص من القافية، كما يتخلص الشعر الإنجليزي عند شكسبير وغيره، فنظموا شعراً مرسلاً من القوافي، يريدون أن يتخطوا هذه السدود التي تحول في رأيهم بين شعرائنا وبين نظم الشعر القصصي والشعر المسرحي وحتى شعر الوصف!

ويشد العقاد على يدي المازني وشكري حين يراهما يحاولان التجديد في هذا الجانب، وكأنه يرى في ذلك تباشير فجر جديد لنهضة الشعر العربي، فلن يتصعب على الشعراء في المستقبل أن ينظموا قصصاً أو مسرحيات، فقد رفعت الكلفة، ونرجع العبْ عن كاهلهم، ولم يبق إلا أن تقدموا لينهضوا بالمذهب الجديد.

ولعل من الطريف أن نشير هنا إلى أن محاولات هؤلاء الذين رفعوا عن الشعر العربي أغلال القافية كانت محدودة جداً في ميدان القصص والتمثيل، فلم يستطع أحد الثلاثة أن ينتج قصيدة قصصية طويلة تبلغ الألف بيت كما نعرف في الإلياذة مثلاً، ولم يستطع وحد منهم أن ينتج تمثيلية، بل ظل الشعر عندهم ينحدر في مسارب ضيقة، هي مسارب الشعر الغنائي العام الذي يغني النفس وآمالها وآلامها[1].

ومعنى ذلك أن رفع الحوافز والسدود من أمامهم لم يؤتِ الثمرة المرجوة منهم، وقد قام بالمحاولة بعدهم غير واحد فلم يوفقوا، لأنهم جميعا تحرروا لا من القافية وحدها، بل أيضا من الأسلوب والخيال، فسقط هذا النوع من الشعر، وعبثاً حاولوا أن يقيموه معتمدين على الخواطر النفسية وحدها أو على القصص وحده ، فإن ذلك لم يُغنيهم من أمرهم شيئاً، إذ لابد أن يحلّ مكان القافية المرفوعة قيم

---

[1] من كتاب شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ص ١٠١-١٠٣

شعرية جديدة، فإذا رفعت القافية ورفع معها الأسلوب والصياغة والخيال الخصب لم يعد هناك شعر بل أصبحت تقرأ نثراً وما يشبه النثر[1].

[1] من كتاب شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ص ١٠٣

الفصل الثالث

الصـــــــور

(والصور ما أن تكون بالية سردية أو صور لغوية)[1].

ظلت الصورة الفنية في الشعر تستمد عناصرها من الماديات التـــي يراهـــا الشاعر القديم في الطبيعة من حوله، وظل شأنها كـــذلك لـــدى الإحيـــائيين أمثـــال (البارودي، وشوقي وعائشة التيمورية).

غير أن الصورة لدى الشعراء الرومانسيين خطت خطـــوات واســـعة فـــي النظرية والتطبيق عند كل الشعراء فبدت أقرب إلى المعنويات ، إذ أصبحت وظيفة الصورة نقل عائق أو توضيح حالة، أو بيان حقيقة فوظيفتها إذاً هي نقـــل المعنـــى مجملاً ويعد أن كانت تستمد من المادي والمحسوس أصبح الخيال مبدأ لها فلم يعـــد للبيت المفرد وحدة مستقلة في القصيدة التي هي كل متلاحم ومتلاحق بـــذلك فـــإن الصورة يمكن أن تنتظم فكرياً لتعالج فكرة واحدة أو موضوعا واحداً معالجة فنيـــة جديدة ففي مقطوعة من ستة أبيات.

(أ) صور جزئية

(ب) صور وصفية

"سردية"

مبحث البيان

الصور البيانية

الصور الشكلية

كل عناصر الفـــن والتصـــوير فـــي مجموعة من الأبيات لحنا كلياً

يصور شكري إعجابه (بالفوتوغراف)[2]:

هل علـــم الفريـــد فـــي وكـــره شأن الذي خفض من قـــدره؟

---

[1] د. عبد الفتاح الشطي مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة "الشعر العربي الحديث" بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، سنة ١٩٨٨م.

[2] قصيدة "الفوتوغراف"، ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ٣٧.

وهل علم المطرب مـــا ذا الـــذي يستحضر الملحود من قبـــره؟

ومن خلال الاستفهام يبدي الشاعر إعجابه بذا الجهاز غير أن هذا التصوير المعنوي يبدو من خلال الصور المتتالية:

يا عجباً مـــن نـــاطق أبكـــم تأتلق الألحان فـــي صـــدره
يســـتخرج اللحـــن بمســـنونة تزيل ذاك اللبس عـــن أمـــره
تخط فـــي أعطافـــه أحرفـــاً كأنهـــا تبحـــث عـــن ســـره
يروي أحاديث أناس مضـــوا كأنهـــا مـــرت علـــى فكـــره

ومن التصوير الجيد ما معنى من أبياته التي تعكس إحساسه المرهف بالفزع وبالغناء وبقلب الأديب في سروره وبكاءه يقول:[1]

ويحكي حفيف الغصن في لين وقعه وطوراً كأصداء الطبول على بعد

وفي أبيات رمزية ترى شكري يعبر تعبيراً رمزيا من خلال الصور الجزئية تارة وفي خلال رمزية الصورة الكلية وما يعانيه من إهمال وذلك في مقطوعته "الخمول"[2]. يقول:

كـــم وردة لـــيس لهـــا ناشـــق يحفها الروض بـــواد ســـحيق
تنبت في زهـــر كـــريم الثـــرى مستوثق الاصل عزيز العروق
طيبـــة النكهـــة لـــم تبتـــذل يخلس رياها النســـيم الرقيـــق
كلهـــا القطـــر ومـــاءُ النـــدى بلؤلؤ فـــي دمعـــه ذي بريـــق
وجـــدول ينســـاب بـــين الربـــى يحسبه الذائق كـــأس الرحيـــق
وبلبـــل يعـــرب عـــن شـــجوه في حيث لا يأخذ سمع المشوق
وخامل والفضـــل مـــن لحظـــه قد أحرجوه بـــالأذى والعقـــوق

(فهو تارة وردة ليس لها ناشق تنبت في مكان كريم لكنه نائي بوادي سحيق، وهو أخرى بلبل يجب لا يسمع إلى السر عذوبة الغناء وهو من أجل ذلـــك خامـــل

---

[1] قصيدة (صوت الموتى) ديوان عبد الرحمن شكري،نقولا يوسف، ص ١٥١

[2] ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص ٤٣

معطل الطاقة مهدر الحقوق على الرغم مما ل من فضل ومكرمة يكشف الرمز في بيتان آخران يقول منها:

إنـــي وإن كنـــت منبـــوذاً بمنزلـــة ينم فيها الرضى عن موضـــع العجـــب

لـــذو فـــؤاد ذكـــي الطبـــع مختبـــئ بين الضلوع اختباء البرق في السحب[1]

وهو شديد الدلالة على ما يستشعره بين جنبيه وإن هدأ خاطره بعض الحين.

وقد عنى شكري بالرمز عناية تتبع عن وعي وإدراك وان يكن قد رفض هذه المذهبية الحادة التي تزين بها النظرية الرمزية كما يبدو في مقالاته التي ينقد فيهـــا هذه النظرية الرمزية وقد أثرت آراء كانت في الخيـــال تـــأثيرا كبيـــراً فـــي هـــذه الرومانسية خاصة (كولبرج) حين فرق بين الخيال والوهم.

فقد رأى الرومانسيون أن الخيال هو التفكير بالصور وفقاً بطرق فنية تختلف من مذهب فني لمذهب فني آخر. ورأيناهم يخلطون بين الخيـــال والعاطفـــة (وردد زورث) حين قال" (العاطفة الفكر الذوق السقيم الخيال).

نرى كولبرج يقول في حديثه عن شعر شكسبير: (الصـــور فيهـــا بـــراهين عبقرية أصلية وما ذلك إلا لأنها خاضعة في صياغتها لسيطرة العاطفة ويعني زرد زورث بأثر الخيال في الصورة الفنية إذ يرى أن الخيال هو تلك القدرة الكيميائيـــة التي بها تمتزج مع العناصر المتباعدة في أصلها والمختلفة كي تصـــير مجموعـــة متآلفة منسجمة.

(والخيال وعي ذو سلطان ثابت الدعائم ولا بهذي المرء إليه لأنه يعجز عـــن الوقوف على عظمته إلا إذا عرفه عن طريق الشعور وحينئذ لا تستطيع قوة أخرى من قوى العقل أن تضعفه أو تفسده أو تنقص منه). وبـــذلك يصـــبح الخيـــال عنـــد (ديروز) ذا مكانة تفوق صور العقل الأخرى على شرط أن تكـــون الصـــور التـــي ينسبا الخيال متألفة منبسقة تتألف على تصوير الحقيقة.

أما الوهم : فهو من الذاكرة التي حررت من نظام المكـــان والزمـــان وقـــد يتعاون الوهم مع الظاهرة التجريبية للإرادة (الاختيار). ولكن فـــي حالـــة الـــذاكرة

---

[1] قصيدة الخمول/، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ٧٣

العادية لأبد أن يستقي العقل مواده جاهزة عن طريق التداعي. ويتلاقى (بودليد) مع (وزرد زورث) و (كولبرج) في أهمية الخيال ولا يقصد به ما يريده عامة الناس من الوهم ، فالخيال قوة خارقة تحليلية تجميعية معاً. والخيال و الذي علم الإنسانية الأولى معنى الذوق في الطبيعة وبث فيها الروح الخلقية والسوية عن طريق الأساطير ويرى بودليد ، وهو رومانسي في رأيه هذا ما رأه كانت من سيطرت الخيال على جميع الملكات الأولى وكان للاعتداء بالخيال على هذا النحو نتائج فنية في الصورة الشعرية أثرت الرومانسية فيها الشعر العربي ولا يزال كثير منها هي في شعر المذاهب التي تلت الرومانسية.

ونرى عبد الرحمن شكري متأثر بذلك حيث يفرق بين الخيال والوهم.

وينبغي أن نميز في معاني الشعر وصوره بين نوعين: يسمى أحدهما التخيل والآخر التوهم.

فالتخيل: هو أن يظهر الشاعر الصلة التي بين الأشياء والحقائق ويشترط في هذا النوع أن يعبر عن حق.

والتوهم: أن يتوهم الشاعر صلى بين شيئين صلة ليس لها وجود ونقل هذه التفرقة بين الخيال والوهم إلى القارئ العربي وإلى الفكر النقدي العربي في فترة متقدمة من تاريخ أدبنا الحديث كان إسهاماً كبيراً في النقد الحديث وإثراء له بالآراء القيمة التي خلقتها لنا المدرسة الرومانسية في كتابات الرواد عن الصور وغير الصور البيانية. نجد عند شكري نوعاً من (الصور السردية) الوضعية تلك التي رسم لنا فيها لوحة إنسان كما في قصيدة (حواء الخالدة)[1].

فعلى صدرك يبكي همّه وأساه موجع القلب حزين

كما يرسم صورة لغوية دقيقة أيضاً لحواء الخالدة :

كم نفوس وقلوب بسطت * لك ما تضمر في ماضي السنين

---

[1] نشرت بمجلة "المقتطف" في اول أبريك ١٩٣٨م، وقد خرج الشاعر في هذه القصيدة على بعض القيود العروضية مع علم بها رغبة في التجديد، ديوان عبد الرحمن شكري، د. نقولا يوسف، ص ٦٥١.

وفي قصيدته (إلى الريح) [١] نراه يصور ما تفعله الريح بقلبه اشجي في استعارة تمثيلية يقول:

يا ريح هيجت قلباً شجوه وادي * كما تهيجين عودَ الغاب بالنار[٢]

ويخلع على الريح استعارة بشرية تشخيصية حين يقول:

يا ريح رفقاً بقلب هيجت لوعته * يا ريح أفشيت أشجاني وأسراري

وشكري و الذي صور عالم الأرواح عالم النور في "حلم بالأرواح الطليقة"[٣]، يقول:

تعوم فوق النور كالغيد في الغدير

مرسلة الشعور كفاتنات الحور

في فلك مسحور تمرح كالطيور

ونستطيع من كل ما عرفنا من صور أن نتبين أن القصيدة عند شكري أصبحت عملاً متلاحماً يتكون من مجموعة من الصور التي غالباً ما تكون متتابعة متابعة تعمل متنافرة على إعطاء الصورة الكلية للقصيدة والتجربة الشعرية التي عاناها الشاعر فلم تعد الصورة في عبارة واحدة أو بيت واحد وإنما الاعتبار في مجموعة الصور وبمراجعة دواوين شكري نراه يجمع بين التيارين اللذين انفرد بكل منها واحد من صاحبي المازني والعقاد وتعني بها التيار العاطفي الشاكي المتمرد المتشائم وهو تيار المازني في شعره ثم التيار الفكري الذي تميز به العقاد في شعر العقلي الإرادي الواعي بما يريد. وكان كل من هذين الشاعرين قد أخذ عن شكري التيار الذي يلائم طبيعته.

أما شكري فقد احتفظ بالتيارين. ولكنه سلط عقل على عواطفه ومشاعر حياته وما فيها من رغبة وتلهف وبذلك جاء شعره أصيلاً متميزاً بطابعه الخاص فلا

---

[١] ديوانه، د. نقولا يوسف، ص ٤٠١

[٢] الوادي المشتعل

[٣] ديوانه، د. نقولا يوسف، ٤٨٨

يمكن أن يوصف بأنه شعر عاطفي ولا بأنه شعر عاطفي ولا بأنه شعر عقلي ولكنه شعر ذا طابع خاص يمكن وصفه بأنه شعر التأملات النفسية أو الاستبطان الذاتي[١].

إذاً الصورة الفنية عنصر مهم وأصيل في البناء الشعري، وهي وسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما في قلبه وعقله، وإيصاله إلى غيره[٢]. كما أنها أداته الفنية في التعبير عن نفسيته[٣].

ولقد تنبه نقادنا القدامى لمكانه الصورة في الشعر، ورفعوا من شأنها، وذكروا أن "الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[٤].

وأشاد عبد القاهر الجرجاني[٥] بالصورة، وأشار إلى مزيتها حتى جعلها أساس لجودة العمل الفني، فسبيل الكلام لديه ــ إنما هو سبيل التصوير والصياغة، وكما أنه محال إذا أنت أردت النظر في جمال الخاتم أو صوغه أن تنظر إلى مادته التي صنع منها ذهبا كانت أم فضة، وإنما يتوجه نظرك إلى الصورة الجمالية التي تشكل فيها، فكذلك ــ أيضا ــ التفضيل بين خاتم وخاتم لا يكون في مادتهما بقدر ما هو منصب على جودة الصورة وفي الصياغة الجملية التي ظهرا فيها[١].

---

[١] د. عبد الفتاح الشطي مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة "الشعر العربي الحديث" بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، سنة ١٩٨٨م.

[٢] الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، د. عبد القادر الرباعي، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص ٨٥.

[٣] أنظر:فن الشعر لإحسان عباس، دار الشروق، عمان – الأردن، الطبعة الربعة ١٩٨٧م: ص ٢٠٠

[٤] الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٥ــ-١٩٦٥م: ١٣٢/٣.

[٥] عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، من أبره اللغة، وواضح أصول البلاغة، ولهه فيها مصنفات شهيرة كأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز ونحوها، توفي سنة ٤٧١هـ. أنظر فوات الوفيات٣٦٩/٢-٣٧٠، والأعلام للزكلي ٤٩/٤٥

[١] انظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تصحيح الإمام محمد عبده والشيخ محمد الشنقيطي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة السادسة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م: ص ١٧٠.

بيد أن الصورة الفنية قد لاقت اهتماما واضحاً وبالغا في الدراسات النقدية الحديثة، فاتسع مفهومها، وتنوعت تعريفها، تبعاً لتنوع ثقافة النقاد والأدباء، واختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية[١].

ولعل من اقرب تلك التعريفات واشملها، أنها هي "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني له، أو يرسم بها صوره الشعرية، ولذلك يتصل الحديث عن الصورة الشعرية ببناء العبارة، (بالمعجم الشعري)، وإن تناولت دراسة الصورة عناصر متكاملة غير مفردة"[٢]

وعلى هذا فإن هناك أموراً تتضافر في تشكيل الصورة، وإبراز جوانبها المختلفة، مثل الخيال، إذ أن الصورة الشعرية "نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه ، وإنما تعني إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة[٣]، وكذا العاطفة القوية التي تساعد في جمال الصورة وروعتها، وقدرتها على التأثير، لأن "الصورة بدون عاطفة فارغة"[٤].

والاستخدام الجيد للغة ودلالاتها، مما يضمن بقاء الصورة فاعلة مؤثرة؛ إذ أن العمل الفني لا يصمد ولا يهيمن إلا بقيمته اللغوية[٥]، وأيضاً الموسيقى التي

---

[١] انظر في ذلك: الصورة الفنية معيار نقديا، د. عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٧م: ص ١٢٤-١٥٩

[٢] الاتجاه الوجداني في اشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م/ ٣٩١.

[٣] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار المعارف، القاهرة، مطبعة القاهرة الجديدة، ص ٣٤٠

[٤] المجمل في فلسفة الفن لكروتش، ترجمة سامي الدروبي، طبعة دار الفكر، القاهرة ١٩٤٧م: ص ٥٥

[٥] انظر: الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى ١٣٧٨-١٩٥٨م ص ٢٦١

تزيد من حيوية الصورة وقابليتها لدى المتلقي، مع ما تضفيه على الشاعر خلال عملية النظم من "نشوة تجعله يتدفق بالصور الحارة والتعابير المبتكرة الملهمة"[١].

وتركز الدراسات النقدية الحديثة أولاً على الصورة الكلية التي تنشأ في مجموع الصور الجزئية المتلائمة والمتلاحمة و في البناء الشعري الشامل للقصيدة [٢] وذلك لأن الصورة الجزئية (بذاتها قد تعطي حساً جمالياً من طريق تجسيد المعقولات، لكنها تحبط في إعطاء حسن بنائي إذا لم تحقق ذلك من خلال تآزر الصور ودخولها معاً في جدل علاقات بنائية تضفي ظلها النهائي على القصيدة بما هي خلق فني متكامل، وليس مجرد إطار شكلي ينحني على نوعيات من الصور التي لا تنهض بينها علاقة بنائية أو حس تشكيلي[٣]ومن هنا كانت الصورة الشعرية مقياس ينظر من خلاله لمدى قدرة الشاعر وتمكنه من فنه[٤]

ولقد اتخذ عبد الرحمن شكري الصورة الفنية وسيلة لصياغة تجارية، وتشكيل معانيه وأفكاره ، كي تظهر رحبة ملحوسة أو محسوسة، تعبر عما في وجدانه، مضيفاً عليها مسحة فنية من الإبداع تجعلها جميلة، متناسقة، قريبة من النفوس ترتاح لها وتأنس بها.

والمتأمل في ديوان الشاعر يجد أن شكري كان شاعراً ذا خيال واسع.
وكان يدرك أثر الخيال في حياة الإنسان، فضلاً عن حياة الشاعر المفكر ذي الإحساس المرهف والوجدان العميق. وقد كتب في الاعترافات فضلاً ممتعاً عن الخيال وأثره في الحياة[٥] الإنسانية بوجه عام، وحياته هو بوجه خاص. فبين أن (الإنسان محكوم بخياله في آرائه وخواطر باله ومساعيه وآماله وما يزعم من الحقائق، وفي معاملته للناس ومن أجل ذلك كنت أتهم رأيي فيعود اتهامه بالوبال، إذ

---

[١] قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م: ص ٧٥.

[٢] الصورة والبناء الشعري – د/محمد حسن عبد الله دار المعارف مصر ص ١٩

[٣] طبيعة الشعر د/ محمد أحمد العذب، مطبعة الفجر الجديد ١٩٨٠م، ص١٣٢

[٤] انظر: الأسس الجمالية في النقد العربي ، د/ عز الدين إسماعيل ،، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤م ص٢١٦

[٥] انظر: عبد الرحمن شكري د/ عبد الحميد غراب ص ١٧٠، ص ١٧٥

يدعو إلى التردد والإحجام عن المعنى فيما يحاول الإنسان عمله. والخيال يشرك المرء في عواطف الناس وحالاتهم، مما يدعو إلى التعاطف والتفاهم).

كما بين خاصية الخيال في التكبير والتجسيم والتلوين ومقدرته على جعل الحياة سعيدة أو تعسة، فقرر أن الخيال (يخلق من الصغيرة كبيرة ومن الكبيرة صغيرة).

والخيال جنة الأحلام وجحيمها. ألسنا نمضي الحياة بين أحلام النوم وأحلام اليقظة؟ بين أزاهر الأحلام وأشواكها؟ وبين ملائكة الأحلام وشياطينها؟ففي بعض الأحايين أرى في اليقظة أحلاماً لا أقدر على وصفها من فرط في جمالها، ولكني في بعض الأحايين أرى أحلاماً سوداء من أحلام اليأس وبها شيء فأخشى كل مصائب الحياة التي مكن أن يصورها الخيال في صحائفه ذات الألوان الكثيرة المختلفة، وأتوقعها وأحسها وأتألم منها مثلما أتألم منها لو أنها وقعت بي، فأخشى الكهرباء في السحاب وفي عرباتها، وما ركبت عربة منها إلا خشيت انكسارها، وأخشى أخطار السكك الحديدية في الأسفار، وأخشى الخريف من كل ليلة أو نهار ، وأخشى وقوع المنازل أو سقوط شيء من نوافذها إذا كنت بين المارة، وأخشى الفئران والصراصير، وأخشى البرق أن يصيب عيني بأذى ، وأخشى اللصوص على عدمي ، وأخشى الحاجة والفقر المترب، وأخشى العمى، وأخشى الجنون، وأخشى الأوجاع والأمراض، وأخشى الموت ولاسيما الموت المؤلم ، وأخشى الحياة وما قد تأتي به من الأحزان والمصائب والأضرار، وأتألم منها كأنها قد حلت بي جميعها، وهذا التألم من جنون الخوف الذي سببه الخيال. ومن أسجل ذلك كان من رحمة الله أن الخيال في الجمهور من الناس كالنسر لا يبلغ الشمس ، ولا يفترس الطير) .

ولا شك أن شاعرنا قد مر بتجارب مرة كثيرة في حياته، ولكن خياله الواسع قد لعب دوراً هاماً في تعميق إحساسه بمرارة تلك التجارب، وفي "تكبير" مصائب الحياة بوجه عام، حتى أصبح يتعذب لا بما وقع منها فحسب ، بل بما (يحتمل) وقوعه...!!

وقد أورثه ذلك شعوراً بالخوف والفزع من الناس ومن الحياة، وقد عبر عن هذا الشعور تجاه الناس فقال[١]

أداريهم جهدي وما ذاك نافعي وامنح منهم مدعى الفهم وما ادعى
فأصبحت أخشى الناس في كل قطرةٍ وأفرق من داعي المودة إن دعا

وجعل شاعرنا خياله الواسع أن يعبر بما يتحمل وقوعه وهذا الخيال جعله يشقى حتى (في الفردوس) [٢] فقال في ذلك:

بأية شقوة قد رعت حتى فؤادك ليس ينعم بالأمان
يظل الناس حولك في نعيمٍ وقلبك كالكليم من الطعان [٣]

وظل هذا الشعور يلازمه فترة طويلة ،فتراه يعبر عنه في قصيدته (الهاربون من القضاء)[٤] حيث منها:

أتظل موهون الجنان مروعاً قلقاً من الآفات والأقدار
تخشى الحياة ولست تخشى ميتة هبها نصيب الموت في الإصغار

والمتأمل في ديوان الشاعر لا يكاد يجد قصيدة تخلو من هذا التصوير الذي حرص على أن يوفر له من عناصر التشكيل والجمال ما هو جدير بأن يعكس قدرته وموهبته الفنية، وقد مر معنا فيماً مضى من البحث كثير من الصور واللوحات التي جهد فيها الشاعر في إخراجها بشكل مناسب لخدمة أفكاره ومعانيه، وبخاصة في موضوعاته الشعرية.

ونلاحظ أن شكري قد أشار في كتابه الاعترافات [٥] إلى صفات أخرى لحقته عن طريق الوراثة والبيئة وعصر الانتقال الذي عاش فيه، ومن أهمها الحزن والقلق اللذان ينعكسان على كثير من شعره كما رأيناه.

---

[١] قصيدة (شقوة العبث) ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص٤٠٥

[٢] قصيد الفردوس ديوانه ص٣١٧ د/ نقولا يوسف

[٣] الكليم الجريح

[٤] قصيدة (الهاربون من القضاء) ديوانه ص٦٣٣ . د/ نقولا يوسف

[٥] الاعتراف د/ عبد الرحمن شكري ص٩٣.

يقول (إن بي شيئاً كثيراً من الحزن الطبيعي لحقتني عن طريق الوراثة وزادته القراءة والتفكير، وإنه ليخيل لي أن كل أمة لها روح ذات إحساس مثل أرواح الأفراد، وإن روح الأمة تلج إلى أرواح الأفراد وتبث فيها أطوارها وأحوالها. فإذا صح هذا التخيل لم يكن غريباً أن في نفسي شيئاً كثيراً من القلق وغيره من الصفات التي تكتسبها أرواح الأمم في حالة التغير والانتقال من أخلاق إلى أخلاق ومن صفات إلى صفات).

ويعد هذا الحزن والقلق مصدراً آخراً من مصادر الصورة الفنية لدى شاعرنا إذ يبلغان درجة التشاؤم في كثير من قصائده، ولكن تشاؤم شكري ليس تشاؤم العجز والتشبيط، بل تشاؤم من يرى الشر فينقذه أملاً في الخير، أو من يرى النقص ويطمح إلى الكحال.

ولا شك أن الطموح إلى الكمال كان سبباً من أسباب شقائه، لأن تحقق هذا الكمال مستحيل في دنيا النقص وفي نفس الإنسان ، وشاعرنا يدرك ذلك فيحاول أن يكلف نفسه عن الطموح ويردها إلى الرضا بالواقع.

ويقول في قصيدة (سمو النفس)[1]

أهبت بحزمي فلم تسمعي وعفت الطماح فلم تردعي [2]

فيا نفس حتام هذا الطموح وخير المكاسب أن تقنعي

فإن عزاء يريح النفو س خيرٌ من الأمل المطمع

ونلاحظ أن صفات الحزن والقلق والتشاؤم في نفس شكري قد انعكست على كثير من شعره، بل على معظم شعره. ولكن شكري لم يغفل في شعره جانب الأمل والتفاؤل، ولم يغفل تصوير الجوانب المشرقة من الحياة والطبيعة...

فنراه يصور إيمانه بالحياة، ورفضه لليأس فيقول [3] :

لي في الحياة اعتقاد لا فناء له * الكون يلعنه والفكر يوضح لي

وإنما الكون قلب لا سكون له * حياته بنبضات الحادث الجلل

---

[1] الديوان لـ ، يوسف نقولا ص ٢٩٦

[2] أهبت بحزمي أي ناديته. وعضت كرهت

[3] قصيدة الإيمان بالحياة من الديوان ص١٧١

فالعين ظامئة والنفس ظامئة * إلى محاسن من قول ومن عم

ومع إدراكه لعظم الشر في الحياة فهو يؤكد لنا بأن الحياة أعظم من الشر الذي فيها وذلك في قصيدته (عظم الشر وعظم الوجود)[١] منها :

كل ما في الوجود ما يريق الـ ـدمع أو يستميح شجو الرحيم

كل غدر وقسوة واحتيال واجترام ولوعة وهموم

ونراه في قصيدة الأمل [٢]يصور أثر الأمل في الحياة الإنسانية وأنه سبب العمران وبلسم الأحزان، وأنه من رحمة الله: فيقول:

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن فلا شيّد الباني ولا كد كادح

إذا اشتدت اللأواء زدت تألقا كذاك سواد الليل للنجم قادح

وإذا ما أخذنا صورة الأطفال عند الشاعر (محمد بن حمير الهمداني)[٣] يشبه أطفاله عندما يتغيب عنهم ويذوقون مرارة الجوع والسجن ، وما نتج عنه من صياح مستمر بالذئاب الجائعة وسط الصحاري وهي تتناوب العوي والصياح فيقول:

وأطفال دار لو تغيب ليلة عووا كذئاب البيد إذ هي جوع

ونرى شاعرنا عبد الرحمن شكري يصور ضحكات الأطفال البريئة التي تبعث البهجة في القلوب، وتعيد الشباب وتطرب النفس كالموسيقى: يقول في قصيدة (ضحكات الأطفال)[٤]

---

[١] قصيدة (عظم الشد وعظم الوجود) ديوانه لنقولا يوسف ص١٨٦

[٢] قصيدة (مناجاة الأمل) ديوانه لنقولا يوسف ص٥٨٤

[٣] هو أبو عبد الله جمال الدنين محمد يبن حميد الهمداني – فنسبه يعود إلى حمدان– القبيلة المشهورة باليمن، وقد أكد هذه النسبة الشاعر نفسه في قوله مخاطباً أحد ممدوحيه:

بحبيلة ابنة عباس أنت سيدها

وإنني ابن همدان الذين هم

[٤]) ديوان عبد الرحمن شكري لنقولا يوسف ص١١٤ .

ضحكة منك صوتها صوت تغريـــ يد العصـــافير تســـتنفر القلوبـــا
ضـــــحكة ردت المشـــيب شـــباباً وأماتت فـــي الوجـــوه الشـــحوبا
ضـــــحكات كأنهـــا كلمـــات الله تســـمحوا مآثمـــاً وذنوبـــاً[1]

ونرى أن عبد الرحمن شكري في ديوانه يعلق الإنسانية على طموح الشباب إلى المثل العليا، ويحث الشباب على تغيير هذا العالم إلى عالم أفضل، وذلـك بـأن يحطم الطاغوت ، ويقيم شريعة الله... فيأتي بصورة جملية توضح هذا المعنى... حيث يقول في قصيدة الشباب [2]:

فعسى الشباب بمقبل من دهره يبلو الحياة بعزمـة وأمـاني
ويسن للدنيا الوسـيعة سـنةً لا سنة للحرص والحرمـان

ونراه يصف جمال الطبيعة في مظاهرها المختلفة، حيث أنه يصورها صوراً رائعة، ولاسيما جمال الربيع، وجمال الطيور والزهور والليل والفجر وغيرها. حيث يقول في قصيدة (سمر الربيع)[3]واصفاً إياه نسيمه وأزهاره ومائه غيرها مـن الصور الجميلة له:

أتعرف أنفاس النسيم المعطـر * وبهجة أزهار الربيع المبكـر ؟
وهل قمت في إظلاله بين نسمة * تفوح وغصن نـاعم متـأطر [4]

ويتحدث عن جمال الليل والقمر في قصيدة بعنوان (يقظة الفجر)[5] حيث يقول:

قم فان الـدهر غفـلان وقضاة الـنحس وسـنان
رق ليـل أنـت راقـده فكـان الليـل ولهـان
إن جرمـاً أن تنـام بـه ما لهـذا الجـزم غفـران
إن حسن الليـل مكرمـه بغضـها الله نكـران

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ١١٤ . وانظر أيضاً قصيدة (الطفل) نفس الديوان ص ٥٧١ .

[2] ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ٥٧٨ .

[3] ديوان عبد الرحمن شكري د/ نقولا يوسف ص ٢١٧

[4] متأطراً أي متثنى

[5] ديوانه د/ نقولا يوسف ص ٤٢٢

قد أراق البـــدر بهجتـــه وجحود الحســـن كفـــران

بيد أن هذه الأمثلة من الصور ونحوها لا تكون اتجاها عامـــاً فـــي شـــعره فالاتجاه العام في شعره يغلب عليه كما قلنا صورة الحزن والقلق وهذان يبلغان فـــي كثير من الأحيان درجة التشاؤم .

وكما قلنا سابقاً أن تشاؤم شكري ليس تشاؤم عجـــز وتشبيط ، وإنمـــا هـــو تشاؤم واستحثاث للهمم لتغيير الواقع الفاسد ، أو هو نقد للحيـــاة بهـــدف إصـــلاحها وتحسينها. وهذا النوع من التشاؤم لاشك أفضل من تفاؤل الغافلين عن الشـــقاء أو الضاحكين في موضع البكاء.

وشكري علي حق حين قال (إن كل نفسي تفيض بالسرور والأمل تـــارة ، وتفيض بالحزن تارة والنفس التي لا تستطيع إلا السرور في موطن الحزن إنما هي كالأبله الذي لا يستطيع إلا الضحك وحالة هذا ليست فضيلة ولا قوة)[1].

ومن ثم فهو يرفض ذلك النوع من الأمل الذي يعمي صاحبه عـــن شـــقاء الناس وشرور الحياة ونلاحظه في قصيـــدته تحت عنوان (أمل فريضة)[2] حيـــث يقول :

هـــل ينفعنـــي ذلك الـــــ أمل المخضب بالـــــدم ؟
يدحو شقاء الأبـــــرياء وينثنـــي لـــــم يكلـــــم
أمل يري ظلم الحيـــــا ة بـــوجهها المتجهـــــم
فيعيـــده طلقاً كـــــــوجه الأغبـــــر المتبســـــــم
أمل يطـــل علـــي الســـنين بحســـــرة وتنـــــــدم
ويرى الحيـــــاة فريضـــة مـــن أجـــــل ومقـــــدم

كان عبد الرحمن شكري إنساناً (كثير الحنان رقيق القلـــب) وتشـــاؤمه فـــي الواقع ما هو إلا تعبير عن اهتمامه العميق بالإنسانية ، وقلقه البالغ علي مصيرها ،

---

[1] التفاؤل والتشاؤم ص ٩٥٦ والرسالة ١٩٣٩/٥/١٥

[2] قصيدة أمل فريضة ، ديوانه ، لنيقولا يوسف ، ص ١٥٠ .

لقد كان شاعرنا إلي جانب إحساسه المرهف ذا ضمير يقظ جعلــه يشــعر بــالآم الإنسانية شعوراً حاداً ويشعر بمصائب غيره من الناس وكأنها مصــائبه هــو بــل ويشعر أحيانا أنه مسئول عنها . يقول (أن توزيع الضمائر بين الناس فيــه غــبن وظلم مثل توزيع المال فلو كان نصيب المرء في وخذ الضمير علي نصيبه مثــل توزيع المال فلو كان نصيب المرء في وخذ الضمير علي قدر نصيبه فــي الآثــام لهان الأمر قليلا ويكن نصيب المرء ي وخذ الضمير يكون علي قدر رقة شــعوره وأعصابه ، لا علي قدر ذنوبه . وقد يشتد وخذ الضمير حتــى يصــير داء وضــئ وحتى يؤنب المرء علي ما لم يجنه وقد يلح له بمحامده كأنها رزائل ، ثــم يؤنبــه عليها ، وقد يؤنبه علي ماجناه غيره من الناس . وأنا من الناس الذين أصيبوا بــداء الضمير فأحياناً أحس وخذة في الرأس والقلب ، فتخور قواي وتخــور أعصــابي وأحس يأساً لأحد له ، واري الدنيا مظلمة فأود أنْ أتخلص من ذلــك العــدو الــذي ينهش قلبي ولكني اذكر قول العباس بن الأحنف)

كيف خلاصي من عدوي إذا كان عــدوي بيــن أضلاعي[1]

وهذا مما يوضح لنا بان شكري اتجه إلي تصوير ووصف مظاهر الشــقاء إلي حد كبير ، وتعاطفه مع الأشقاء بل ومع الأشرار والمجرمين ومقدرته علــي الولوج إلي أعماق نفوسهم ، يقول وكنت أشفق علي المجرمين وأملالهم قلبي رحمة حتى لو أصابني احدهم بسوء لما أشفقت علي نفسي أكثر من إشفاقي عليهم في تلك الساعة.

فانه لا يحزنني في الحياة شي مثل رؤية آثار التعاسة التي يجلبها الإجــرام للمجرمين ويعود بها الشر علي الأشرار لقد رأيت في الحلم مرة أني أتيت جريمــة القتل ثم وقفت أمام جثة المقتول وقد أحسست دواراً وصار العرق يتصــبب علــي

---

[1] الاعترافات د/ عبد الرحمن شكري ص ٨٢ – ص ٨٣ ومن الملاحظ ان مما ور في الاعترافات يفيد نقداً للذات وعن نقده لنفسه في شعره .

انظر علي سبيل المثال :

ديوانه د/ نيقولا يوسف : (بين العذر واللوم) ص ٣٣٦

وارحمته الناس ص ٣٥٠ وبين الإخاء والعداء ص ٥٨٩

جسمي وكنت أحس جريه . كأنه دبيب الحشرات وقد جمد الدم في عروقي واسودت الدنيا في عيني وكلما أردت أن أتنفس أحسست شيئا يشد مجري النفس وكنت أحس صوتاً كأنه صوت أعصابي تتقطع فيحكي تقطع أوتار العود ، أو كأنه صوت سقوط الماء من علِ وكنت يخيل لي كان يداً من جليد قد وضعت علي ظهري هذه هي الأحلام التي تمكن الأديب أن يعدم شخصه في أشخاص غيره وأن يلج إلي أرواح الناس وعواطفهم ، وأن يرحم المجرم كما يرحم التعيس[١].

ويعني هذا بان العاطفة في الشعر روحه وخاصيته ومصدر قوته وتأثيره وهي "قوة نفسية تثيرها مؤثرات وميول خارجية مختلفة ، فتظهر في صورة انفعالات شيء كالحب والبغض والسرور والحزن والرجاء والخوف"[٢].

وقد أحس نقادنا القدماء بهذه العاطفة في الشعر وأشاروا إليها ، وان كانوا لم يسموها بهذا الاصطلاح المتداول اليوم ، وإنما أطلقوا عليها قواعد الشعر أي الأسس والينابيع التي ينفجر عنها الشعر وكأنهم أدركوا أن الطبع الموهوب لا يكفي وحده للتغريد بالشعر بل لابد من مثير يدفع إلي قرضه وهو ما نسميه اليوم بالانفعالات أو العاطفة[٣] .

ذكر ابن قتيبة أن للشعر دواعي تحث البطيء وتبعث المتكلف منها الشراب ومنها الطرب ومنها الطمع ومنها الغضب ومنها الشوق[٤].

ويؤخذ ابن رشيق هذه الدواعي أو الانفعالات الباعثة على الشعر في قوله : (فمع الرغبة يكون المدح والثناء ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف مع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع..)[٥] .

---

[١] الاعترافات د/ عبد الرحمن شكري ص ٨٦- ٨٧

[٢] النقد الأدبي عند العرب إلي نهاية القرن الثالث الهجري د/ محمد طاهر درويش در المعارف ١٩٧٩م – ص ١٢٩

[٣] أسس النقد الأدبي عند العرب د/ دكتور احمد بدوي ص ٥٠٢

[٤] انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ٧٨/١ (٦)

[٥] العمدة لابن رشيق ١٢٠/١

ولم يقف مفهوم العاطفة لديهم عند هذا الأمر بل أشـــاروا إلـــى أنـــه دممـــاً سيطرت عليّ بعض الانفعالات أو الدوافع المعنية علي بعض الشعراء فبان تفوقهم في جوانب معينة اثر تلك الانفعالات أو البواعث المرتبطة بها ولهذا قالوا بأن أشعر الناس (امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهـــب والأعشـــى إذا شرب)[1]

ولا ريب أن من عناصر تقدير الأديب والحكم على مقدراته الفنية النظر في عاطفته ومدى تنوعها وصـــدقها أو صـــحتها وقوتهـــا أو ســـمومها وثباتهـــا ، أو استمرارها أو نحو ذلك مما يكشف عنه نتائج الأديب أو المبدع ، و إن كان هذا أمر عسير و صعب في حقيقته ؟ لأن العاطفة لدى الشاعر تختلف باختلاف أغراضـــه ، كما أنها تختلف داخل الغرض نفسه ، بل تتباين في القصيدة الواحدة تبعـــا لتبـــاين الأحوال و الظروف المحيطة بالشاعر.

و إذا ما درسنا شعر شكري لنتبين أمر هذه العاطفة ، و نتحســـس أثارهـــا ، فإن أول ما يطالعنا مسألة الصدق الشعوري في انفعالاته و عواطفه و كلمـــا كـــان الشاعر أكثر إحساسا و معاناة بالموقف أو التجربة كان أكثر صدقا في التعبير عنها ونقلها إلى ألآخرين بما يكفل لها التأثير والبقاء.

فهو يتحدث عن ذلك و يقول (إن روح الشاعر مثل آلة الغنـــاء، لا بـــدّ أن تتهيأ تهيئاً خاصاً لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ، و يطال بعضها ، و يشد وترا ، و يرخي أخر ، والشاعر لا يمكنه أن يهيئ روحه كذلك متى شـــاء بـــل لابد من أسباب يتوخاها زمناً، حتى يساعده الطبع فتتهيأ نفسه، ثم يوقع عليهـــا مـــا يشاء وجدانه من الألحان ، و الشاعر الكبير لا يكتف بإفهام الناس. بل هـــو الـــذي يحاول أن يشكرهم و يجنبهم بالرغم منهم. فيخلط شعوره بشـــعورهم ، و عواطفـــه بعواطفهم . ولشعر العواطف رنة و نغمة لا تجدها في غيره من أصـــناف الشـــعر وسيأتي يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنّه هو الشعر ولا شعر غيره . فالشـــعر مهما اختلفت أبوابه لا بد أن يكون ذا عاطفة. و إنما تختلف العواطف التي يعرضها

---

[1] العمدة لابن رشيق ٩٥/١

الشاعر. ولا أعني بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجـــع أو ذرف الدموع. فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب ،و ذكاء ، و خيـــال واســـع، لدرس العواطف و معرفة أسرارها وتحليلها، ودرس اختلافها و تشابهها، و ائتلافها و تناكرها، و امتزاجها ومظاهرها ، و كل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمـــور الحياة و أعمال الناس . فينبغي للشارع أن يتعرض لمـــا يهـــيج فيـــه العواطـــف و المعاني الشعرية وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته . و ينبغي له أن يعود نفسه على البحث في كل عاطفة من عواطف قلبه، و كل دافع من دوافع نفسه. لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة ، فاضلة ، أ وقبيحة مرزولة وضيعة...)[1]حيث يقول:

حنيني إلى وجـــه الحبيـــب جنون جنون بهيج القلب وهو سجون
أحبـــك لاجـــي عليـــك بسبـــة ولا أن وجدي في هواك يشين
وحسنك يجلو النفس في كل ريبة ويطهر قلب في هـــواك طعين
فجد لي بزخر من ودادك خـــالد فكل قليل من هـــواك ثميـــن

نراه يتحدث عن الموت في نفس القصيدة...

أما الموت فيتردد كثيرا في غزله.

فنراه يذكر به الحبيب لئلا يغتر بجماله حيث يقول:

فلا يخدعنك الحسن فالحصن طرفة تمر كحلم العين و هو ظنـــون
غداً يكثر الباكون حولي و حولكم و ما الناس إلا هالك و حـــزين
فنصبح موتى لا نحس أفتقادكـــم وأي دفيـــن يستبيـــه دفيـــن
ويسعي على قبري و قبرك بعدنا من الناس خبّ ماكر و خوؤن[2]

وتارة يذكره ليخفف من هجره:

غداً ينال الممات منا فمن دفين و من رميـــم
فخففوا هجركم قليلاً فالموت من خلفنا غريم

---

[1] من كلمة لصاحب الديوان (العاطفة في الشعر) ديوانه (القدال يوسف) ص ٢٠٩

[2] قصيدة (الحب و الموت) ديوانه ص ٢١١

و يلين و يرحم:

أذكر حبيبي إن الموت غايتنا و آفة الحسن أكفان و ديــدان

لا لقبة بعده ترجى و لا صلة و لا دلال و لا عطف و تحنان

ألم يعلمك وقــع الخطب مرحــة أم كل عيشك أزهار وأغصان

هيهات لا يرحم المسكين ذو ترف منعــم البال لا يــؤذيه حدثان

و تارة يذكره به ليسرع إلى التمتع بالحياة و الحب و الجمــال قبــل فــوات الأوان:

قم بنا نعشــق النجــوم حبيبي أو شك الليل جنحه أن يزولا

قم بنا نختلس الزهور من الحب و نسقي الرحيق و السلسبيلا [1]

الموت في شعره :

وقد نلحظ بان الموت في شعره أخذ مجالا كبيراً في قصــائده وان المــوت يلغي بظله الرهيب ليس علي غزل شكري فحسب بل وعلي كثير من شعره حتــى ليخصص (قصائد كاملة يعالج فيها موضوع الموت) ويصف مظاهره المختلفة.

وحين نتبع هذا الموضوع في شعره نجد أن موقف شكري تجاه الموت لــم يثبت علي حالة واحدة بل تطور ومر بمرحلتين رئيسيتين :

الأولي : مرحلة الفرع منه ، وتصوير مظاهره وآثاره تصويراً مفزعا ، ولاســيما ما يتصل بالموتي والقيود وما يفعله الموت بالجسد البشري وبالجمال وبخاصة جمال النساء وجمال الحبيب وهذه المرحلة تظهر بوضوح في الديوانين الثاني والثالث.

يسمع للموتي صوتا ويصوره تصويراً مفرغا فيقول :

ألا إن للأمــوات صــــوتاً كــأنّه خرير المياه الجاريات علي الصلد

ويحكي حفيف الغصن في لين وقعه وطوراً كأصداء الطبول على بعد

ويعول أحيانــاً كــإعــوال ثاكــل رمتها صروف الدهر في الولد الفرد

يئن أنين الريــح عنــد خفــوتها ويعوي عواء الذئب في المهمة القفــر

---

[1] قصيدة الحسن مرآة الطبيعة .

ويصـــرخ أحيانا فيحكي صراخه صراخ العباب الغمر في لجـــج البحر
يئن أنين الليـــل إنْ هـــدأ الـــورى وطوراً له صوت كحشرجة الصـــدر[١]

ويري ضوء القمر علي القبور [٢] فيصور هذا المنظر المفزع الذي يحكـــي كما قال (فناء الجمال في الموت ، وفناء الموت في الجمال) ، ويصف مـــا يفعلـــه الموت بجمال النساء فيقول :

قمن يرفلن في الليالي السود بعد أن صرن طعمة للدود
بعد أن كن للعيون جـــلاء فاتنات بأعين وخـــدود [٣]

وقد رأينا كيف صور في غزله ما يفعله الموت بجمال الحبيب وشاعرنا عبد الرحمن شكري في هذه المرحلة قد يتمني الموت حين يتغزل كمـــا ســـبق أو حـــين يخاطب البحر قائلا :

أجرني من ظلم الحياة ولؤمها فان شقائي مثل لجّك زاخر

ولكنه يفزع من الموت لأنه مازال يحب الحياة ويتعلق بها رغم شقائه فيها فيقول :

أعالج صرف لدهر في غير مطمع وأفعـــل ما تملـــي علي المقـــادر
ولكنني أرجـــو في المـــوت راحة ويفـــزعني وقـــع له وخواطـــر
وما العيش إلا الذئب ترمي ينـــوبه وللعيش نـــاب قاتـــــل وأظـــافـــر
ولكنه كالخمـــر يحلـــو لشـــارب وان سلبت منه النهى والســـرائـــر[٤]

والمرحلة الثانية هي مرحلة قبول الموت ليس لأنه النهاية المحتومة فحسب بل لأنه السبيل الوحيد لخلاص الإنسان من شقاء الحياة وخلاص الروح من قيود الجسد ، ولأنه الحقيقة التي تكشف أن الحياة وهم وأن مساعي الإنسان فيها غرور.

---

[١] قصيدة صوت الموتى ديوان نقولا يوسف ص ١٥١

[٢] قصيدة ضوء القمر علي القبور ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص ١٤٥

[٣] قصيدة النساء في الحياة والموت ديوانه ، لنيقولا يوسف ص ١٣٢

[٤] قصيدة بين الحياة والموت ديوانه ، لنقولا يوسف ص ٢١٣ ، وقارن الخوف والفزع ديوانه ، لنقولا يوسف ص ٢٢١

وفي هذه المرحلة تستريح نفس الشاعر إلي الموت بل وتبرره تبريراً فلسفياً ومن ثم يتمني الشاعر الموت ، ولكن بلا فزع ويتحول التصوير المفزع لما يفعله الموت بجمال الجسد إلى تساؤل فلسفي عما يفعله الموت بعقل الإنسان وملكاته ومشاعره.

وهذه المرحلة تظهر تدريجيا في الديوان الرابع وما بعده . ففي قصيدة (وعظ موت)[١] يعبر الشاعر عن قصر الحياة ومرورها مر السحاب وأن شقاءها يهون لديه الموت ، كما يعبر عن لؤم الناس في بكائهم لموتاهم لأنهم لا يبكون الميت لمصيبة حلت به بل لمصيبة حلت بهم ، وهي أن حياته كانت نافعة لهم بوجه من الوجود ولكن لماذا نبكي الميت؟

أليس قد أنقذه من شقاء الحياة ؟ أليس فقدان هذه الحياة سعادة ما بعدها سعادة ؟ أليس الموت يحقق للإنسان إلا من والخلود ؟

هل العيش إلا ساعة ثم تنقضي هل الدهر إلا أشهر وعصور
نرى حولن الهلاك في كل منزل كأن بيوت العالمين قبور
وتعلم علماً ليس بالظن إننا سنمضي علي أثارهم فنحور[٢]
وهون عندي الموت ما الدهر صانع فلست من الخطب العظيم أخور
وليست مساعي المرء إلا جنازة تخبّ به نحو الردى وتسير

وفي قصيدة (من الحي إلي الميت)[٣] يتساءل الشاعر عما يفعله الموت بالإنسان ولاسيما بعقله وأخلاق وآماله وذكرياته :

خبريني تعائس اللحد أم كـــ ـلّ رميم في لحده صميت ؟
خبريني عن الحجا أين يمضي أين تمضي عرامة وقنوت

---

[١] ديوان عبد الرحمن شكري / نقولا يوسف ٣٠٤

[٢] نحور أي نتحول ونتغير

[٣] ديوان عبد الرحمن شكري / نولا يوسف ص ٤٩

ونراه في قصيدة (الشهرة بعد الموت)[1] يسخر من وهم الإنسان وغـــروره ، بل وحمقه في طموحه للشهرة والخلود (بعد الموت) حتى يحيل حياته إلـــي شـــقاء بسبب هذا الطموح:

يهـــدم مـــن لذات أيـــامه كيما يشاد الذكر في قبره!

ومحاولة الإنسان أن يخلد في آثاره (كبناء الإهرامات وتأليف الكتب) هـــي كذلك محاولة عقيمة ، فلجة الموت تأتي وتطمس هذه الآثار جميعا وتغرقها. فالنفس البشرية:

تحتال بالأهرام طوراً وبالـــ قرطاس يحوي اللب في سفره

سفـــائن لا بـــد من هلكهـــا إذا استفاض الدهر في بحـــره

وهذه القصيدة تردد نفس الفكرة التي عالجها في آخـــر فصـــل مـــن كتـــاب الاعترافات[2] حيث قال: (جعلت أسير يوماً عند شاطئ البحر وأخط فـــي التـــراب رسوماً وأشكالاً ، ورأيت كأن البحر يحاول أن يمحوها. فما زالت أمواجـــه تغـــدو وتروح حتى طغت موجة كبيرة عليها فمحتها.) فذكر في ذلك حياة المـــرء ، فـــإن الدهر كالبحر لا يزال بالمرء حتى تطغى عليه موجة من أمواجه فتمحوه كما محت أمواج البحر تلك الرسوم . فالناس أيضاً رسوم تمحوها أمواج الدهر. والذي يعـــيش في آثاره بعد موته عاماً كالذي يعيش فيها ألف عام . والذي تمتد شهرته ألف عـــام كالذي تمتد شهرته مليون عام . ولا تغبط هوميروس أو شكسبير علـــى شـــهرته ، فإن شهرة الأول قد امتدت بضع آلاف من السنين ، وشهرة الثاني بضـــع مئـــات ، وهذا شيء حقير إذا قيس بالأبد . فلو كان المرء بعد موته يملأ اسمه الوجود ويبقى خالداً إلي الأبد لجاز تمني مثل هذا الخلد. على أن إقبال هذا الثمين غرور وعبـــث باطل، فإن الذي يعيش باسمه إلي الأبد كالذي يعيش باسمه بعد موته مئات السنين.

---

[1] ديوانه د. يوسف ، ص: ٤٧٣.

[2] (ظل الموت) ص: ١٠٩. وقد نشر كتاب الاعترافات سنة ١٩١٩. بينما نشر الديوان السادس (الذي يحتوي على قصيدة (الشهرة بعد الموت) سنة ١٩١٨) نقلا من كتاب عبد الرحمن شكري د/ عبد الحميد غراب ص:٢١١.

وتتطور فكرة الموت عند شكري في قصيدة (الموت) الطويلة الرائعة في الديوان السابع[1] حيث يقبل الموت وتستريح نفسه إليه ، فهو منصف المظلوم ، ومهرب الملهوف ، وآسي الجروح ، وهو طريق الخلاص الوحيد من شقاء الحياة. ومن ثم يتمنى لقاءه بدون فزع ، بل يتوسل إليه كما يتوسل الطفل إلي أمه:

أيا معبداً قربانا فيه عيشنا نضحي به لذاتنا والأمانيا
ويا منصف المظلوم من كل ظالم ويا مهرب الملهوف يخشى الأعاديا
ويا مبرئاً كلم الحياة بطبه جلالك أن قد راق ما كنت شافيا

وتبلغ فلسفته في الحياة والموت قمتها في قصيدة (بهاء الحياة) وهي آخر ما كتب في هذا الموضوع ، بل لعلها آخر ما كتب من شعر[2] وهي قصيدة تجمع إلي عمق التفكير روعة التصوير وجمال الموسيقى. والفكرة الأساسية فيها هي أن جمال الحياة في التغير، والموت تغير، فالموت جمال. وكل شيء في الطبيعة وفي الحياة يتغير لينتج في النهاية شيء آخر جديداً أو جميلاً. ولو لم يكن تغير لم تكن جدة ، ولم يكن جمال، بل لم تكن حياة، فالثبوت على حالة واحدة معناه وقوف الكون عن الحركة معناه الموت والفناء . ولو كان الجمال خالداً لهان شأنه وملته النفوس:

كم أسينا على زوال بهاءٍ كان أنساً وكان للنفس أهلاً
ووددناه خالداً ليس يفنى فنرى الزهر في الحدائق حولاً
ونرى بهجة الربيع دواماً ليس يفنى الربيع ضوءاً وظلاً

ويمكن لنا القول بأن تلك هي صورة شكري النفسية كما تبدو في شعره ، وأخذناها بالتفصيل ، لان شعر شكري في معظمه شعر يصور حالاته النفسية ، وتجاربه الذاتية. إنه شعر تأملات ولقد سلط فيه فكره على وجدانه الداخلي ، أي على ما يجده داخل نفسه من نزعات وخلجات وعواطف مختلفة .

---

[1] ديوان عبد الرحمن شكري ، انقولا يوسف ص: ٥٤٢.

[2] الديوان السابق ، ص ٦٦٨.

وكذلك شعره الذي تناول فيه العالم الخارجي كالطبيعة والعصر والمجتمع هو كذلك شعر صور فيه هذا العالم من الزاوية التي انطبع منها على فكره ووجدانه.

ومن ثم كان أوجز واصدق ما يوصف به شكري أنه شاعر الفكر والوجدان.

فعن الإصلاح الاجتماعي لدى شكري في شعره تقابلنا صورة عديدة . ولا تتأثر المشاكل الاجتماعية بنفس الدرجة من الاهتمام البالغ الذي استأثرت به المشاكل الأخلاقية في شعره ونجد هذا النوع من شعره في ديوانه (لآلئ الأفكار) وهو ديوانه الثاني الذي أصدره سنة ١٩١٣. عقب عودته من انجلترا كما ذكرنا سابقا (وقد كتب بعض قصائده هناك).

ونلاحظ في بداية الديوان قصيدة (حياة الأمم ، أو التجديد والتغير)[١] ونجده يضع فيها صورة قوية للتجديد في حياة الأمة المصرية، ونبذ العادات القديمة والتقاليد البالية . فالتمسك بالقديم (لمجرد أنه قديم) يجعل الحياة الإنسانية راكدة ، آسنة، بينما يجعلها التجديد متدفقة كماء النهر والتجديد – إلي ذلك سنة حتمية من سنن الوجود وقوانين البقاء – فهو كالسيل العرم يجرف كل من يقف في طريقه. ومن ثم ينذر الشاعر المتمسكين بالقديم الواقفين في طريق التقدم ، بأن مصيرهم الهلاك لا محالة ويتهمهم بالجبن ، لأنه لا يخشى الجديد إلا الجبناء الذين يرسفون في أغلال الماضي حيث يقول:

فقل للغافلين – إذا أصاخوا حياتكم هي الداء العضال
ستنفذ فيكم الأقدار حكماً ويرحمكم بأنكدة المآل
وهل يخشى الجديد سوى جبان له في حب أقدمه عقال

وفي قصيدة (امرأة تكلم زوجها)[٢] ينتقد – على لسان امرأة – الطريقة التي كان الرجل يعامل بها زوجته في تلك الفترة فيعتبرها قطعة من الإناث ، أو عقاراً يمتلكه أو سلعة وكأنها لا إحساس لها ولا كرامة . هذا إلي جانب سوء ظنه بها،

---

[١] ديوانه ، نقولا يوسف ص١٠٧.

[٢] ديوانه ص ١٠٧.

وطول إهماله إياها ، فالعلاقة بينهما كانت تشبه علاقة السيد بالعبد، أي علاقة تملك وسيطرة لا علاقة محبة ومودة كما ينبغي أن تكون العلاقة بين الرجل وزوجه .

ليس الجمال عقـــاراً أنت مالكه إنّ الجمال جمـــال الله والناس

تعتـــرني سلعة في ملكها أرب تموت داء ولا يدنو لها الآسي[١]

وفي قصيدة (نعمى الزواج)[٢] يصور الحياة الزوجية الموفقة القائمـــة علـــى الحب والتفاهم ، نعيما للرجل والمرأة معاً.

حيث يقول:

إنما عقدة الـــزواج عقـــالٌ وأســـار أنعـــم به من أسار

هو ذلك النعيم لو أسلس الخط وباب الجحيـــم عند العثار

وينوه بقداسة عقد الزواج . وأن هذه العقدة لا ينبغي أن تحل بـــالطلاق بـــل يرى أنه ضروري من إيجاد التفاهم والمحبة بين الزوجين قبـــل زواجهمـــا فنـــراه يصورها لنا في قصيدة (الحجاب)[٣] . ويقول:

أطلقوا عن عرسه حتى يراها ويرى أين هواه في هـــواها

واحسبـــوها لو أردتـــم سلعةً يترجى عرضها قبل شراها [٤]

كيف يهـــوى غـــادة لم يرها يافع أبدت له الدنيا صباها [٥]

فهو نراه يعالج بعض مشاكل لطفولة ، ولاسيما مشكلة اليتيم والمرض. وفي قصيدة (اليتيم)[٦] لا يهتم بوصف المظهر الخارجي لليتيم . وإنمـــا يهـــتم بتصـــوير نفسيته وما أحدثه اليتيم في نفسه من أسى ، بل من ضـــغينة وحقـــد علـــى النـــاس والمجتمع فيقول:

يـــرى كل أم بابنها مستعـــزة وهيهات أن يحنو عليه حبيـــب

---

[١] السلعة: الشيء الذي يباع ويشترى . والآسي الطبيب.

[٢] ديوانه نقولا يوسف ص ١٢٩.

[٣] ديوانه ص١٥٢.

[٤] السلعة : الشيء الذي يباع ويشترى.

[٥] اليافع: الشاب.

[٦] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ١١١.

يسائله الغلمان عــن شأن أهله فيحــزنه أن لا يجيــب مجيب

إذا جاءه عيدٌ من الحول عاده من الوجــد دمعٌ هاطل ووجيب[١]

وكذلك يعالج مشكلة الفقر والجريمة [٢] فيطالب بإلغاء عقوبة الإعدام ، لأنها في رأيه محاولة لمحو الجريمة بجريمة أخرى. وكذلك بتحويل السجون إلي معاهــد لتربية المجرمين وتعليمهم. حيث يقول في ذلك:

أطيلــوا حيــاة الجــارمين فإنها حياة إذا سد المطامــع عاقــر![٣]

أتبغون أن تنفوا بجــرم جــريمة هي القتل يأتيها مقيــد وعاثــر[٤]

فلو أنهم عاشوا وفي السجن معهد لتهذيبهم عاشوا وفي العلم زاجر

ويلتمس لهؤلاء المجرمين الفقر عذراً لهم،فان(الفقر كافر) ينذر الأغنياء الذين(أزوى النعيم قلوبهم) بثورة مدمرة تطيح بهم إذا لم يسرعوا بمعاونة الفقراء. فيقول:

لقد أخلفتهم بلغة العيش برهــا زماناً وحاجات الحياة غوادر[٥]

لبئس حياة المرء والفقر عاكف عليه وأسباب الحيــاة جرائر[٦]

فإن اهتمام شكري (في شعره بوجه عام) يتوجه بصورة أوضــح . وأعمــق إلي القضية الكبرى التي تكمن وراء هذه المشاكل كلها ، لا المشاكل الجزئيــة بــل قضية الإصلاح أو الحل الجذري لمشاكل المجتمع ، فركز على طريقتين:

الأولي منها : فقد كان شكري يؤمن إيمانا عميقا بالدور الفعال الذي يقوم بــه الخاصة أو النخبة الممتازة من عظماء المصلحين المجددين ليس في تغيير المجتمع فحسب ، بل في تغيير مجرى التاريخ البشري كله. وقد عبر عن هذه الفكرة في عدة قصائد ، لعل من أروعها قصيدة (مصارع النجبــاء) [٧] فهــو يصــور لنــا

---

[١] الحول : العام.

[٢] قصيدة (العقاب بالقتل) ديوانه د/ نقولا يوسف ، ص: ١٣٤

[٣] أي أن حياة المجرمين لا تلد الشر إذا سد بينه وبينهم.

[٤] المقيد الذي يصدر العقوبة . أي كيف تنهي الحكومات الناس عن القتل وهي تأتيه؟.

[٥] البلغة من العيش الكفاف أي القليل من الرزق.

[٦] جرائر أي جرائم.

[٧] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٢٩٨. وانظر أيضا القصائد التالية: (العظيم في قوم) ص: . (جهاد المصلحين)ص: (البطل المنتظر) ص: وغيرها.

أن جمال الحياة هو هبة من هؤلاء العباقرة المصلحين . فلولا طموحهم إلي الكمال ، وسعيهم إلي تحقيقه ، لظلت الحياة مقفرة كالحة.

ويصورهم حالمين بالمجد . غاضبين على الانحطـــاط . بنـــائين هـــدامين . مبدعين مشرعين . بل أنبياء ومرسلين . وسيرتهم وتضحياتهم تظل منارات خلفيـــة تهتدي بها البشرية بعد موتهم:

إن الحياة جمالها وبهاؤهـــا هبة في النجبـــاء والشهداء

لولا طماح الحالمين وهمهم بقى الورى كالتربة الغبراء[١]

وأما عن الطريقة الثانية فقد ندد شكري بالجهل في عدد من قصائده . ودعـــا إلي نشر العلم كوسيلة رئيسية للتقدم . حيث نراه في قصيدته (في سبيل الجامعة)[٢] يدعو الأغنياء إلي التبرع بشيء لإنشاء أول جامعة مصرية. ويصف مصر في تلك الفترة بأنها تبدو بدون العلم (كالبناء المهدم). فيقول في ذلك:

أيدعي غنى القوم سيد قـــومه إذا غاب عنه فضل فعل معظم

إذا لم يكن طبع فجودوا تطبعا فرب جميل جاء مـــن متنـــدم

وفي قصيدة (صورة النذير)[٣] يؤكد أن التفوق العلمي – لا التفوق الحربي – هو السبب الحقيقي في تقدم الأوربيين ثم يصور ذلك ويقول:

بعض العلوم إلي الأعمال منتسب وأحسن العلم ما يجدي به العمل

هذا السلاح الذي يدحو لهم سبلاً في مجدهم، لا القنا الخطية الذبل

ولذلك كان شكري لا يقيم وزناً للجماهير الجاهلة مهما كثر عددها:

وكم من جموع ليس تعدل واحداً فإن ظلام الجهل في الناس كالعمى

ومن الخطأ أن نظن أن شكري – المفكر الأخلاقي – كان يعتقد أن التفـــوق العلمي وحده بدون الأخلاق كفيل بالتقدم . فهو كثيراً ما يقرن التفوق العلمي بالسمو الخلقي . كما يقرن الجهل بانحطاط الأخلاق.

---

[١] الحالمون المفكرون الذين يحلمون بتحقيق الآراء السامية.

[٢] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص ٣٩.

[٣] ديوانه ، ص ٢٧٧.

فقصيدة (صوت النذير) – وهي في جوهرها فقد أخلاقي تنتهي بالدعوة إلي الأخذ بالعلوم الحديثة ، على أمل أن يؤدي انتشار التعليم الحديث إلي إصلاح الأخلاق.

وفي قصيدة (العلم وعزة النفس)[١] يشبه حياة الجهلاء بحياة البهائم ، ويرى في الجهل السبب الحقيقي لكثير من النقائض النفسية والخلقية ، مثل ذلة النفس والجبن وغيرها ...بينما يرى في العلم عكس ذلك:

رأيت بيوتاً كالوجار ذليلة ألا إن عيش الجاهلين عليل[٢]
رضاء بعيش البهم والخصب وافر ومركب من يبغى العلا ذلول

وأما من حيث البيئة المادية فنلاحظ أن شكري قضى معظم حياته في بيئة ساحلية على البحر أو قريبا منه ، وهذه البيئة الساحلية كان لها صداها الواضح في شعره، ولذلك نجد (البحر) وما يتصل به مادة لتأملات الشاعر وخياله في الكثير من القصائد[٣] ويكفي أن نستشهد هنا بأبيات من قصيدته (بين الحياة والموت)[٤] لأنها مثال واضح يصور لنا كيف يسكب شكري عواطفه الحزينة وتأملاته القاتمة على البحر ، وكيف أن فكرة الموت تسيطر على خياله سيطرة رهيبة:

وقفت على البحر الخضم عشية والريح فيه والعباب بوادر
وقد بسط الليل البهيم جلاله وللسحب نوء هاطل اللج هامر
وللرعد ضحك رائع الصوت هائل كان ضجيج الرعد بالناس ساخر
أقطع قلبي بالبكاء وبالأسى وحب الردى داءٌ دخيل مخامر
بكيت بكاء اليأس لا يأس مثله وقلت وبي من سانح الموت خاطر
أجرني من ظلم الحياة ولومها فإن شقائي مثل لجك زاخر
أرى كفنا من نسيج موجك أبيضا تمزقه الأوراق وهي ثوائر

---

[١] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٤١٥.

[٢] الوجار : بيت الكلب.

[٣] انظر مثلا القصائد التالية : (البحر، ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ١١٨) و(حمام الكازينو) ص: ٢٧. و(شفق الغروب) ص:٦٦٤ و(بحر الحسد) ص:٦١٦. و(الدهر بحر) ص: ١٩٩.

[٤] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٢١٣. وانظر : (الموت في شعره) ص: ٢٠٤.

فنرى شكري يلجأ أحيانا إلي المبالغات والصور التقليدية في الغزل فيقول:

بالله يا نسمات الريح سائـــرة نحو الحبيب الذي قد طاب عنصره

استودعيه سلاماً كله شجـــنٌ من المحب الذي قد مات أكثـــره[١]

وأحيانا يخلط الغزل المتكلف بالحكم المتكلفة فيقول:

لا تلح مشتاقا على شجـــن إن الشباب مطية العـــذر

والسعي رزق والهوى أمل والهجرة يأكل جدة العمـــر

والحب إن دب السلـــو به فكما يدب الشر في الخيـــر

والصفو قد يفضي إلي كدر واليسر قد يفضي إلي عسر[٢]

وأحيانا يحشد مبالغات وصورا قديمة . كما في (مناجاة الحبيب) و(شـــكوى الزمان) و(الفخر والحكم) حيث يقول :

لو أن أشجان الفؤاد تطيعني لنظمتها لك في القريض نسيبا

أو ما علمت بأنني لك عاشق أفنى الزمان صبابة ونحيبـــا[٣]

ويمدح الدكتور عبد الحميد بدوي فيصوره منقطع القرين ، يذري في الكتابة بعيد الحميد الكاتب وابن العميد في قصيدته (إلي صديق)[٤]

سامر الليـــل بابنه العنقـــود وأدرها تـــرح فـــؤاد العميـــد

خلدت في الدنان حتى لقد أر بت سنوها على مدى التخليد

وئدت كي تعيش حتى لقد حا لت وجلت عن هيئة الموجود

ويصوره شكري بروح تقليدية شديد المبالغ فيقول:

واطمأنت بك البـــلاغ حتـــى نسبت عهدها بعبد الحميد

وفضلت الورى فلو نظم الكو ن قصيداً لكنت بيت القصيد!

---

[١] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٤٢.

[٢] قصيدة (الحب والليل) ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٣٥.

[٣] قصيدة (شكوى الزمان) ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٣١.

[٤] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٧٤ – والصديق هو الصديق الجليل والأستاذ المفكر عبد الحميد بك بدوي (والقاضي بمحكمة العدل الدولية).

ولقد نجد الرثاء في شعر شكري عندما رثى مصطفى كامل ومحمد عبده وقاسم أمين ولكن رثاءه رثاءاً تقليدياً لا روح فيه ولا عاطفة[١]، حيث يقول في رثاء مصطفي كامل[٢] :

نفد العمر على طول الليالي واستباح الموت ذكراً غير بالي
ومجال الدهر في أحواله الحق التاليـن مـن بـلا والي
يا ضلوعاً دونها حر الجوى أصبح السلوان بعد الدمع غالي

ولكن ينبغي أن نقرر أن هذا الاتجاه قليل في شعره ، ويكاد يكون محصورا في شعره المبكر ، وبخاصة في ديوانه الأول.

والي جانب النزعة العذرية نجد له قصائد قصصية قليلة استوحاها من الأدب الجاهلي ومن تاريخ العرب قبل الإسلام ومنها (قصة النعمان ويوم بؤسه) و(عتاب الملك حجر لابنه امرئ القيس)[٣] و(كسرى والأسيرة)[٤] ، وهذه القصيدة الأخيرة تحكي قصة فتاة عربية جميلة وقعت في يد كسرى،وراودها عن نفسها فتأبت عليه واعتصمت بعزتها وعفتها ، فحاول أن ينتقم منها لكن العرب هبوا لنصرتها وإنقاذها فيقول:

يا فتاة الحي قومي ما سمعتي قصة تقتل أطماع الهوى
قصة ذات اعتبار آخذ بصميم اللب يقرية الهدى[٥]
غضب الجبار كسرى غضبة فنما من شره ما قد نما [٦]
غضبة ذات وعيد رائع ترك العرب كأطيار العرا
ترك العرب على عزتها تبتغي المنعة ما بين الربى

---

[١] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ٤٧ – ص: ٥٣ – ص: ٥٤.

[٢] كانت وفاة الزعيم مصطفي كامل في ١١ من فبراير عام ١٩٠٨.

[٣] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ١٢٤ ، ص: ٢٠١.

[٤] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص: ١٩.

[٥] ذات اعتبار أي فيها ما يعتبر به – يقر به هنا معناها يمنحه.

[٦] نما : ذاع وانتشر . المنعة التحصن – الربى جمع ربوة وهي أعالي الجبال والأماكن المرتفعة.

أرسل القــارة في ذي مــرة ينزع الغل بتقطيــر الــدما[١]
يفقــد الطــرف لديه لحظة ويضل السيف فيه والقنــا[٢]
رام أمرا لم يرومه غيــره رب باغ نال أطراف المنى
فرمى الغرب بعــزم ناقــم ذي اغتيال لم يمانعه حمــى
فغزا من أرضهم ما قد غزا وسبى من أهلهم ما قد سبى
إن في السبي لخوداً علمــت سنة البدر ملاشاة الــدجى
جال ما الحسن في أعضائها فــإذا ناجيته مجّ الضحى

ومن تاريخ العــرب والمسلمين فــي الأنــدلس اســتوحي قصــيدته "حلــم بالأندلس" [٣]وفيها يشير إلي إنجازات العرب العمرانية والثقافية في أســبانيا والــي أثرهم في ظهور عهد النهضة الأوربية ، وكما يشير إلي أن هزيمتهم كانت بســبب الفرقة فيقول مصورا في ذلك:

أخذ الافــرنج عنهم فكــرهم وابتكارا لم يكــن بالأوكس
نهضة الأحيا لو لا صحــف صنعوا عزت علي الملتمس
لم يكن مصرعهم في و هنهم لا ولا مــن لــذة لم تحبس

ومن تاريخ العرب الحديث استوحي قصيدة "الجنة الخراب" أو الشام في عهد الاستبداد"التركي[٤]، يقول:

إن الشآم حــديقة فينانة تهفو بلب الشاعر الولهان
وكأنما نسج الإله جنانها شدك النهى وحبالة الأهواء

وفي عتاب الملك حجر لابنة امرئ القيس وهي أيضا من الشــعر المرســل حيث يقول [٥]:

تريق دماء الخمر جبنا وخسة ولو قد أرقت الماء كنت ظلــوما
فــإن دماء الثائــرين كثيــرة وهذي السيوف الباترات صوادي

---

[١] المرة بكسر الميم الشدة والقوة أي جيش عظيم. وتقطير الدماء إراقتها.

[٢] أي لعظم هذا الجيش تفقد العين لحظها فيه ويضل لاسيف.

[٣] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ٦٦٧ .

[٤] المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

[٥] المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

تلك هي صورة شكري في شعره وخاصة صورته النفسية وتجاربه الذاتية ، تناولنا هنا بشيء من الإفاضة والتفصيل ، لان شعر شكري في معظمة شعر يصور حالاته النفسية، وتجاربه الذاتية . إنه شعر تأملات سلط فيه الشـــاعر فكـــرة علـــي وجدانه الداخلي ، أي علي ما يجده داخل نفسه من نزعـــات وخلجـــات وعواطـــف مختلفة .

وحتى شعرة الذي تناول فيه العالم الخارجي ، كالطبيعة والعصر والمجتمـــع هو كذلك شعر صور فيه هذا العالم من الزاوية التي انطبع منها علي فكره ووجدانه ومن ثم كان أوجز واصدق ما يوصف به شكري انه شاعر الفكر والوجدان.

الفصل الرابع
الوحدة الفنية للقصيدة

تنشأ الوحدة الفنية للقصيدة من ذلك التلائم والانسجام والترابط بين أجزاء القصيدة وعناصرها وما يستتبعه من تناسق الأسلوب وائتلاف المعاني ، بحيث تكون القصيدة وحدة قوية متماسكة وعملاً فنيا متكاملا من المطلع إلي الختام .

ولعل أول إشارة في نقدنا القديم إلي هذا المعني هي قول ابن طبا طبا :(وأحسن الشعر ما ينظم فيه القول انتظاماً يستق به أوله من آخره على ما ينسقه قائلة ، فأن قدم بيتا علي بيت دخله الخلل ، بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف ويكون خروج الشاعر من كل معني يضيفه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفاً حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا لا تناقض في معانيها ولا هي في مبانيها ولا تكلف في نسجها تعتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقراً إليها) [١] .

ويؤكد هذا الأمر أيضا ما ارتآه بعضهم عندما شبة ارتباط أجزاء القصيدة وتلاحمها بجسم الإنسان في اتصال بعض أعضاءه ببعض ، فمتي انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله [٢].

وإذا حولنا تتبع هذه الصلة وذاك الربط والتناسق بين أجزاء القصيدة الواحدة وعناصرها في شعر عبد الرحمن شكري نجد أن شكري دعا إلي وحدة الموضوع في القصيدة وإلى أن تنتظمها وحدة عضوية تتلاحم خلالها اللّبنات . الجزئية في العمل الشعري بحيث ينقل البناء الكامل للقصيدة تجربة الشاعر ويمثلها تمثيلا فنيا دقيقا.

---

[١] عيار الشعر ، ابن طبا طبا العلوي ، ص ٢١٣ .

[٢] العمدة ، ابن رشيق ، ٢/ ٢١٧ .

فالبيت المفر في القصيدة ليس بناءاً قائما بذاته ولكن لينة في بنـــاء متكامـــل يساهم فيه مع غيره في إيجاد الوحدة العضوية الفنية في القصيدة.

وقد ترتب علي ذلك ارتباط عنوان القصيدة بمضونها في كل ديوانه ومن ذلك (معانٍ لا يدركها التعبير) و (رثاء عصفور) و(النساء بين الحيـــاة والمـــوت) و(الحـــب و الموت) و (بين الحياة والموت) و(الشعر والطبيعة) و(طبـــع الإنســـان) و(الباحـــث الأزلي) و(العصر الذهبي) و(النجاح)[١].

إلى غير تلك القصائد فهي تحلم عناوين تشيد إلى مضمون القصـــيدة وهـــو مضمون واحد متكامل تعمل جزءيات العمل الفني فيه على أحداث تأثرهـــا الكلـــى (Total effect) للقصيدة. .

ومضمون القصيدة لوحدة عضوية متماسكة أعضاءها مع بعض لولا ما كان مما لاحظناه على بعض قصائده الغزلية التي كان بنقل فيها القارئ نقله مفاجئة مـــن الحديث عن المرأة المحبوبة وجمالها الآسر إلى الحديث المفاجئ عن الموت وإنهـــا ستؤول إلى التراب و الديوان. ولحسن الحظ فإن هذه القصائد بطبيعتهـــا محـــدودة العدد.

وفى قصيدة متأخرة بعنوان (حواء الخالدة) [٢] . نجد ترابطاً ما بين أبيـــات القصيدة وأجزائها المختلفة بحيث تبدو متوحدة البناء متينة النسج يسلم أولها منطبقـــاً إلى آخر أبياتها في غير نبوء وتمضي القصيدة بالمناجاة على هذه الشاكلة:

أنت يا من ألفـــت بين الفنـــون وهى لولا ما جنت منك ظنـــون
دوحة الفن التي تحبـــو الـــورى بجنـــاها من قطـــوف القاطفين
كل لحن أو قـــريض أو دُمـــى نُحتت أو صورة ، منك تكـــون
كل من قد خلبت لبّ الر صين من حسان جمعت سحر الفتـــون
كنتها للنفس حـــالاً بعـــد حـــال تحـــفـــة فاتنـــة للناظـــــرين
فلبست الحسن شكلاً بعد شكل وخبرت الحب حينـــاً بعد حين

---

[١] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص ١٢١ ، ١٦٢ ، ١٣٢ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٦٦ ، ٢٢٨، ٥٧٤ ، ٦٠٢ .

[٢] ديوانه ، لنقولا يوسف ، ص ٦٥١ .

وتستمر المناجاة هادية عذبه ينسب البيت منها إلى تاليه في منطقيه غير مفتعله. فحواء منذ ضحى خلق الكون أم الناس ثم أخت وزوجه تفهمهم في جميع حالاتهم:

في الرخاء والشدة ولأنها في البأساء سلوى وعزاء ، فإن المرء يجد في صدرها متسعاً لبكاء همه وأساه . يقول :

كنت أماً، كنتِ أُختاً، كنت زوجاً كنتِ في البؤس عزاء البائسين
فعلى صدرك يبكى همسه وأساه موجع القلب الحزين
كم نفوس وقلوب بسطت لك ما تضمر في ماض السنين
فعرفت القلب ما ينشده وعرفت النفس و السر الكمين
وقرأت الروح دهراً بعد دهر وبلوت الخلق في مر القرون
أي قلب مغلق لم تفتحي أي سر للوري لا تعرفين؟

ولان حواء مستودع سر الرجل، تبوأت منزلتها المحبوبة الغالية، وقليل ما كان من إخراج آدم من الجنة ، وهنا يجد شكري مسرباً للحديث عن خطيئة حواء التي أخرجت البشر :

كنت حواء التي من أجلها يندب الفردوس كل العاملين
وقليل لك يا حواء أن يفقد الخلق جنات الخالدين
آدم كان بجهل قانعاً ناعماً بالجهل في خفض ولين [1]
ليس يستطلع أمراً غامضاً في ثمار العيش و السر المصون
بك شام الكون غصاً زاهياً أكذا الغبن، فيا نعم الغبين
جذوة الفطنة في اللبّ وفي نفسه من حسنك الغض، شئون
كفري في النسل عن إثم مضى وثقي في الله خير الغافرين

ولم يكن إثم حواء إلا قدراً ليعانى الناس الشقاء فيطربوا إلى الموت وما يعقبه من راحة و سعادة لا يحسبها ألا هالك:

---

[1] خفض العيش نعيمه ولينه، والمراد بإثم حواء المذكور في القصيدة بأكلها من الشجرة المحرمة وحث آدم على الأكل منها.

لم يكن إثمك إلا قـــــدراً كي يلذ الناس سعـــد الهالكيـــن
لا يحـــس السعد إلا هـــالك قد أحسن الهم في القلب الحزين

و ينتقل الحديث عن خطايا حواء الأخرى التي تمل بالرجال و يدفعها الرجال راضيين . وهنا يتوالى الحديث عن شخصية حواء عبر التاريخ ، (حواء الخالـــدة) في أغنية يصل بها العمل الشعري إلى تمامه على هذه الشاكلة:

كنت هيليـــــن التي مـــن أجلها خرّبت طـــروادة ذات الحصـــون [١]
وقليـــــل لك يـــا هيليـــن أن يهلك الأبطال في الحرب الزبـــون
كنتِ شيـــــرين التي قـــد ذللت عنق كســـري وهو ذو الملك المكين [٢]
كنـــتِ تاييس إذا مـــا خطـــــرت خفق القلب كطيـــر في وكـــون [٣]
كنتِ سيفـــــو إذا رمت بالشعـــــر كالخمر تزكى لقطة للســـامعيـــن [٤]
كنتِ أسيـــزيـــا التـــي قـــد فتنـــت باقتـــران الحسن و الفهم الفطين [٥]
كنت ليلى ، كنت بثنا ، كنت عزا باعثات الوجد و الشعر المبيـــن [٦]
كنـــت مـــا كنت ولكن أنت أنت لك سحر الضوء والليل الدجيـــن !

ونلمح وضوح الإيقاع مع دقة الألفاظ بما يناسب الموقف وهو الحديث عـــن (حواء التاريخ أو حواء الخالدة) وتتضافر عناصر التشكيل الفنـــي المختلفـــة فـــي القصيدة حتى تجعل منها أغنية عذبة في كل مكان و زمان.

وقصائد شكري في مجملها تشير إلى نقلة جديدة للقصيدة العربية على يد هذا الرائد الكبير وقد أستطاع أن يحققها لحسن استخدامه الفني بإحساس مرهف لجمـــال اللغة و إدراك النواحي المختلفة (موسيقى الشعر العربي فضلاً عن هـــذه الصـــورة

---

[١] هيلين الإغريقية الحسناء التي كانت حصار طروادة وتخريبها .

[٢] شيرين من حسان الفردوس.

[٣] تاييس ممثلة إغريقية فاتنة.

[٤] سيفو (سافو) شاعرة إغريقية اشتهرت بالغزل.

[٥] إسيزيا حسناء فى عهد يركليز اشتهرت بالعقل .

[٦] ليلى صاحبة ميث ، وبثينة صاحبة جيل ، عزه صاحبة كثير وقد الهمهن عشاقهن الشعر الرفيع

الجزئية و الكلية للعمل السوي مع إدراك تام لوحدة القصيدة ويبقى فيها تماسك وتلاحم .[1]

[1] د/ عبد الفتاح الشاعر مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة الشعر العربى الحديث.

الخاتمة

انطلقت هذه الدراسة الأدبية محتفية بشعر الشاعر عبد الرحمن شكري الذي يعدّ من الأفذاذ القلائل في تاريخنا الأدبي والفكري الحديث . وقد أخذت هذه الدراسة بمقدّمة أوضحنا فيها أهمية الشاعر عبد الرحمن شكري بالنسبة لأدبه عامة ثمّ جاءت الدراسة على ثلاثة أبواب . وكلّ باب قسّم إلى عدّة فصول . حيث جاء الباب الأول متضمناً (معالم حياته – أسرته – مؤلفاته) وهذا الباب جاء على فصول : الأول منها معالم حياته وتحدثت فيه عن أصل الشاعر ومن أين جاءت أسرته وأين استقرّت وماذا كان يعمل والده ، إلى أن استقرّ بهم المقام في مصر . والفصل الثاني تحدّثت عن تعليمه ، وعن تأثره بوالده الذي كان متديناً إلى جانب تعاليمه الدينية كانت له مكتبة تضم كثيراً من كتب الشعراء والأدباء كابن الفارض والبهاء زهير ، والمتنبي ، والشيخ أحمد حسين المرصفي وغيرهم . ثمّ دخل شاعرنا في بداية حياته بأحد الكتّاب ببور سعيد ، ولكن عهده بالكتاب لم يطل أكثر من عام ، وعندما وصل عمرة التاسعة التحق شكري بمدرسة الابتدائية ببور سعيد ومنها حصل على الشهادة الابتدائية ، ولم يكن ببور سعيد مدارس ثانوية ، فانتقل إلى الإسكندرية والتحق بالمدارس الثانوية ، ومنها حصل على (البكالوريا) وفي نفس السنة انتقل إلى القاهرة ، حيث انتقل إلى مدرسة الحقوق ، ولم يستمر بها كثيراً ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا لحاجة وزارة المعارف للمعلمين ، وتحرّج منها ، وكان متفوقاً ولا سيما في اللغة الإنجليزية . وبعد تخرجه من مدرسة المعلمين العليا ، ولتفوقه أرسل في نفس السنة في بعثة إلى جامعة شفيلد بإنجلترا ، وهذا هو الفصل الثالث الذي تحدثت فيه عن دراسته في إنجلترا حيث درس التاريخ الأوربي والإنجليزي والاقتصاد والاجتماع ، إلى جانب اللغة الإنجليزية وآدابها ، وغيرها ومن العلوم . وكان لهذه البعثة أثر كبير عليه ، وخاصة في ثقافته وأدبه ، بل يمكن أن نقول هذه الفترة كانت نقطة تحوّل في حياته الأدبية والعقلية ، وجاء الفصل الرابع متحدثاً عن العلاقة بين إنتاجه الأدبي ، وسياق هذا الإنتاج ، ونقصد به الظروف الخارجية التي تمّ فيها هذا الإنتاج ، ولا

سيما من حيث أحداث العصر ، وآثار البيئة الماديّة . ثمّ جاء الفصل الخامس وتحدّثت فيه عن الاتجاه الأدبي الجديد لشكري عندما التقى بالعقاد والمازني ، وتوطّدت المعرفة بين ثلاثتهم ، فكوّنوا ثالوثاً ، وعرف فيما بعد بمدرسة الديوان والتي كان لها موقف من شعر القدماء كما أوضحت الدراسة . ثمّ جاء الفصل السادس متحدّثاً عن المازني ، وهجومه الظالم على شكري ، ثم جاء الفصل السابع حيث تحدثت فيه عن قصة إحالته للمعاش وما لها من أثر في شعره وحياته ، والفصل الثامن جئت فيه متحدثاً عن ثقافته ومؤلفاته ، حيث كانت له ثقافة أوربيّة بالإضافة إلى ثقافته الأوربيّة . وجاء الفصل التاسع متضمناً دواوينه الشعرية ، ومختاراته الشعرية ، وكتبه النثريّة ، ومقالاته .

ثمّ جاء الباب الثاني تحت عنوان : حالة الشعر في عصر شكري وموضوعاته ، وقسمته إلى فصلين ،تحدثت الفصل الأول عن حالة الشعر العربي في عصره ، والفصل الثاني ، تناولت الموضوعات العالقة بفكره وتناولها في كل ديوان .

والباب الثالث والأخير تناولت فيه الخصائص التعبيريّة الفنية في شعر شكري ، وجاء متضمناً أربعة فصول : الفصل الأول تحدثت فيه عن اللغة والصياغة . وانطلق شكري في أثر دعوته للمدرسة الرومانسية وغيرها ، حيث نظم شعره وتجربته الجديدة . فليس هناك ما يسمى بصياغة شعرية ثابتة . وأن ينتج لشعرنا مادة أوسع ، هي مادة اللغة كلها ، فليس فيها شعري ، وغير شعري ، بل هي كلها ذات قابلية واحدة من حيث الشعر وأساليبه . ولم يقل شكري ذلك صراحة ، ولكن ديوانه يشهد بذلك . ثم جاء الفصل الثاني متحدثاً عن الموسيقى ، وأشادت الدراسة بالموسيقى في شعر شكري من حيث الوزن والقافية ، فهو تقليدياً يستخدم الأوزان العربية كاملة ومجزوءة ، وينظم في أكثرها ، وكذلك في قصائده فعرض للأوزان القصار كالمقتضب والمجتث ، والهزج وغيرها ، وله قصائد قصصية مثل كسرى والأسيرة ، ونراه يكفل لقصيدته مع العناصر الصوتية الأخرى قافية رائعة الرنين حيث يتخذ النون المشبعة الكسرة ، أو التي تتبعها الياء(رويّاً) تسبقه الواو ، أو الياء سناداً ، حيث يسبق السناد بياء أو بميم ،

واستعمل كذلك القافية المرسلة لأنّه وجد فيها نوعاً من التحرر من ضروريات القافية الموحدة أو المقابلة ، والشعر المرسل والحر ، ونجده أيضاً استخدم القافية المتعانقة على صورة من الشعر العربي ، فالشعر المرسل يلزم الشاعر بحراً واحداً لكنه يتحرر من القافية الواحدة ونلاحظ أيضاً الموسيقى الداخلية في كثير من قصائد شكري تتسم بطابع ذاتي يعكس تجربته ، وصدق معاناته خلال ما يؤثر في نفس قارئه من هزّات وذبذبات خاصة مصدرها تفاعل الألفاظ والعبارات .

والفصل الثالث : تناولت فيه الصورة الفنية في شعر عبد الرحمن شكري وقد استقى معظمها من مصادر متنوعة ،كالطبيعة بقسميها الصامتة والمتحرّكة ، وكذلك الإنسان وشئون الحياة العامة والثقافة المتنوعة . ولكن كما أوضحت الدراسة بأن أصبحت وظيفة الصورة بالنسبة له نقل عاطفة ، أو توضيح حالة ، أو بيان حقيقة ، فوظيفتها هي نقل المعنى مجملاً بعد أن كانت تستمد من المادي والمحسوس ، وأصبح الخيال مبدأ لها ، فلم يعد البيت المفرد وحدة مستقلة في القصيدة ، فالصورة لديه تنظم فكراً لتعالج فكرة واحدة أو موضوعاً واحداً معالجة فنية جديدة ، كما شاهدنا ذلك في قصائده ، وخاصة قصيدته (الفتوغراف) هذه الآلة العجيبة لعصره . ولقد عني شكري بالرمزية عناية تنبزغ عن وعي وإدراك وسرعان ما رفق هذه المذهبية الحادة التي تزين بها النظرية الرمزية كما يبدو في مقالاته التي ينقد فيها هذه النظرية الرمزية ، وقد أثرت آراء كانت في الخيال تأثيراً في هذه الرومانسية ، كما أوضح لنا الفرق بين الخيال ، والوهم . وتناولت الدراسة في فصلها الأخير الوحدة الفنية للقصيدة حيث نلاحظ أن شكري دعا إلى وحدة الموضوع في القصيدة ، وان تنظمها وحدة عضوية تتلاحم خلالها اللبنات الجزئيّة في العمل الشعري بحيث ينقل البناء الكامل للقصيدة تجربة الشاعر ، ويمثلها تمثيلاً فنياً دقيقاً مع إدراك تام لوحدة القصيدة ، وبين فيها من تماسك وتلاحم .

فهارس عامّة

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	مصدر أو المرجع
١	الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د/عبد القادر القــط ، دار النهضة العربية ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠١-١٩٨١ .
٢	أدب المازني ، د/ نعمات فؤاد .
٣	أسس النقد الأدبي عند العرب د/ احمد أحمد بدوي .
٤	أصول البلاغة ، د/ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني .
٥	الاعترافات ،لعبد الرحمن شكري .
٦	بعد الأعاصير ، لعباس محمود العقاد .
٧	ترتيب الجمالية في النقد العربي د/ عز الدين إسماعيل دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٤ .
٨	ثورة ١٩١٩ ، عبد الرحمن الأقصى .
٩	حافظ وشوقي ، د/ طه حسين .
١٠	الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفي الحلبي الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ -١٩٦٥ .
١١	ديوان أبو الأسود الدؤلي .
١٢	ديوان العقاد ، لعباس محمود العقاد .
١٣	ديوان المازنى الجزء الثاني - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
١٤	ديوان عبد الرحمن شكري ، جمعة وحققه وقدم لــه /نقــولا يوســف - طبعه على نفقة : عبد العزيز مخيون الطبعة الأولــى ١٩٦٠ .توزيــع دار المعارف بالسعودية .
١٥	ديوان محمد بن حمير الهمداني -شاعر الدولة الرســولية فــي القــرن السابع الهجري ، تحقيق وتعليق ، محمد بن علي بن الحسين الأكــوع ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

١٦	ذكرى الشاعرين .
١٧	الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث مؤلفه مصطفي الحرثي .
١٨	الشعر والشعراء ، لابن قتيبة .
١٩	شوقي شاعر العصر الحديث د/ شوقي ضيف دار المعارف بمصر
٢٠	الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د/ جابر عصفور ، دار المعارف القاهرة مطبعة القاهرة الجديدة .
٢١	الصورة الأدبية د/ مصطفي ناصف دار مصر للطباعة – الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ–١٩٥٨م .
٢٢	الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق د/ عبد القادر الرباعي دار العلوم للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٥ – ١٩٨٤ .
٢٣	الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ، د/ علي إبراهيم أبو زيد – دار المعارف مصر الطبعة الأولي ١٩٨١.
٢٤	الصورة الفنية معياراً نقديا د.عبد الإله الصايغ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد الأولي ١٩٨٧ .
٢٥	الصورة والبناء الشعري د/ محمد حسن عبد الله دار المعارف بمصر
٢٦	طبيعة الشعر د/محمد أحمد العزب ، مطبعة الفجر الجديدة ١٩٨٠م .
٢٧	عباس محمود العقاد ناقداً – تأليف /عبد الحي دياب –الدار القومية للطباعة مصر .
٢٨	عبد الرحمن شكري ، د . أحمد عبد الحميد غراب .
٢٩	العقاد يتحدث عن النقد والنقاد د/ عبد الحي دياب .
٣٠	العمدة لابن رشيق .
٣١	عيار الشعر لابن طبا طبا .
٢٢	فن الشعر ، د/ إحسان عباس دار الشروق عمان الأردن الطبعة الأولى ١٩٨٧ .

٣٣	في الأدب الحديث ، د/ عمر الدسوقي .
٣٤	قضايا الشعر المعاصر ، د/ نازك الملائكة دار العلم للملايـــن بيـــروت لبنان ١٩٨٣
٣٥	المجمل في فلسفة الفن الكروتشه ، ترجمة سامي الـــدوري طبعـــة دار الفكر القاهرة ١٩٤٧
٣٦	المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج٣ ج٤ د/ بروفسير عبـــد الله الطيب .
٣٧	مذكرات غير منشورة ضمن محاضرات مادة الشعر العربـــي الحـــديث بالسنة الرابعة جامعة القاهرة الفرع ، د/عبد الفتاح الشطي ١٩٨٨.
٣٨	موجز تاريخ الحركة التجديدية في الإسلام ، كتاب الأستاذ المودودي .
٣٩	موسيقي الشعر ، د/ إبراهيم أنيس –دار التعليم بيروت لبنـــان الطبعـــة الأولي ١٩٧٢ .
٤٠	النقد الأدبي عند العرب إلي نهاية القرن الثالث الهجري ، د/محمد طاهر درويش دار المعارف ١٩٧٩ .
٤١	هل عندنا مذاهب أدبية ، د/ محمد غنيمي هلال في مجلة الآداب ينـــاير سنة ١٩٦١ – الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨ هـــــ ١٩٦٥ .
٤٢	الوافي في العروض والقوافي د/ الخطيب البتريزي / الدار الســـودانية للكتب الخرطوم ١٩٧٥ .

الدوريات :

١/ مجلة المجتمع اللغوية – سنة ١٩٥٣ .

٢/ مجلة المغتطف – عدد يناير ١٩١٧

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
استهلال	**ب**
آية	**ج**
إهداء	**د**
شكر وتقدير	**هـ**
مقدّمة	**و – ط**
الباب الأول : حياته من شعره–أسرته–مؤلفاته :	**١– ٤٦**
الفصل الأول : معالم حياته .	**٢ – ٤**
الفصل الثاني : تعليمه .	**٥ – ٨**
الفصل الثالث : بعثته لانجلترا وأثرها في شعره .	**٩ – ١٥**
الفصل الرابع : العلاقة بين إنتاجه الأدبي ، والظروف الخارجيّة .	**١٦ – ١٧**
الفصل الخامس : الاتجاه الأدبي الجديد لشكري .	**١٨ – ٢٢**
الفصل السادس : المازني وهجومه الظالم على شكري .	**٢٣ – ٣٦**
الفصل السابع : إحالته إلى المعاش ، وأثرها في شعره .	**٣٧ – ٤٠**
الفصل الثامن : ثقافته .	**٤١ – ٤٣**
الفصل التاسع : مؤلّفاته .	**٤٤ – ٤٦**
الباب الثاني : حالة الشعر في عصر شكري ، وموضوعاته	**٤٧ – ٨٠**
الفصل الأول : حالة الشعر العربي في عصره .	**٤٨ – ٥١**
الفصل الثاني : تعريف الموضوعات العالقة على فكره ، وتناوله في كل ديوان :	**٥٢ – ٨٠**
الباب الثالث : الأدوات الفنية التعبيرية في شعرة :	**٨١ – ١٤٥**
الفصل الأول : اللغة والصياغة .	**٨٢ – ٩٧**

الفصل الثاني : الموسيقى .	٩٨- ١٠٨
الفصل الثالث : الصور .	١٠٩ – ١٤٠
الفصل الرابع : الوحدة الفنية .	١٤١ – ١٤٥
الخاتمة .	١٤٦ – ١٤٩
الفهارس .	١٥٠ – ١٥٥